



تفسير جزء تبارك

بقلم
سليمان بن محمد اللهيميد
السعودية - رفحاء



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وسراجاً منيراً. وبعد

فهذا كتاب يحتوي على تفسير جزء تبارك، أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به عموم المسلمين، وكان عملي في هذا التفسير ما يلي:

١- كان الاعتماد الأكثر في تفسير الآيات على تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير وتفسير الشيخ السعدي، وغيرها من كتب التفسير الموثوقة.

٢- حرصت على عدم ذكر أي قصة أو حديث لا تصح مما هو موجود في بعض كتب التفسير.

٣- ذكرت بعد كل مقطع من الآيات بعض الفوائد الإيمانية والتربوية والعلمية المستفادة من الآيات.

هذا وأسأل الله أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد.

بقلم
سليمان بن محمد اللهيميد
السعودية - رفحاء



سورة الملك

فضلها:

عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ (إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر الله له: تبارك الذي بيده الملك) رواه الترمذي .

قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)﴾.

(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) يمجد تعالى نفسه الكريمة، ويخبر أنه بيده الملك أي هو المتصرف في جميع المخلوقات بماء يشاء .

قال ابن عباس: يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويغني من يشاء، ويفقر من يشاء، ويحيي ويميت ويعطي ويمنع .

(وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)) فهو القادر على كل شيء كما قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات والأرض﴾ .

(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) أي أوجد في الدنيا الحياة والموت فأحيا من شاء وأمات من شاء، وهو الواحد القهار.

وإنما قدم الموت لأنه أهيب في النفوس وأفزع.

(لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) ليختبركم أيكم خير عملاً. فيرى المحسن من المسيء.

(وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢) العزيز: الذي له العزة كلها:
عزة القدر: أن الله ذو قدر عزيز، يعني لا نظير له.
عزة الغلبة: أنه سبحانه غالب كل شيء قاهر كل شيء.
عزة الامتناع: أن الله يمتنع أن يناله سوء أو نقص.
(الغفور): هو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، ويزيد عفوه على مؤاخذته.
(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا) أي طبقة بعد طبقة، لكن من غير مماسة إذ ما بين كل سماء وأخرى هواء فارغ مسيرة خمسمائة عام.
(مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ) أي من اختلاف أو تضاد أو تنافر، وإنما التناسق والانتظام.
(فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣) أي انظر إلى السماء هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خلالاً
(ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) مرتين.
(يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤) أي ذليلاً مبعداً كالاً تعباً، قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار ولا يرى نقصاً.
ومعنى الآية: أنك إذا كررت نظرك لم يرجع إليك بصرك بما طلبته من وجود الخلل والعيب، بل رجع خاسئاً مبعداً.

الفوائـــد:

١- أن الحكمة من خلق الحياة والموت هو الابتلاء والاختبار.
٢- أن العبرة بحسن العمل لا بكثرته، وإحسان العمل: إتقانه والإخلاص فيه.
٣- عموم ملك الله وقدرته.
٤- أن الموت حق على كل أحد كما قال تعالى: ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وقال تعالى: ﴿ أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾.

٥- أن السموات سبع، وهذا بنص القرآن:

ـ قال تعالى: ﴿ ... ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾.

ـ وقال تعالى: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾.

ـ وقال تعالى: ﴿وبنينا فوقكم سبعاً شداداً﴾.

٦- عظم قدرة الله وسعة علمه حيث خلق سبع سماوات لا ترى فيها اختلاف ولا شقوق.

٧- أن الخالق هو الله، كما قال تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ وقال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾.

٨- إثبات اسمين من أسماء الله وهما: (العزيز، الغفور).

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ﴾.

(وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) أي هذه الدانية من الأرض القريبة منها بمصابيح هي النجوم والكواكب.

قال العلماء: سميت الكواكب مصابيح لإضاءتها بالليل إضاءة السراج.

(وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ) أي وجعلنا لها فائدة أخرى وهي رجم أعدائكم الشياطين الذين يسترقون السمع.

قال ابن كثير: أعاد الضمير في قوله ﴿ وجعلناها﴾ على جنس المصابيح لا على

عينها لأنه لا يرمى بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها.

(وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾) أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا وأعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة.

فوائد النجوم:

قال قتادة: «خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها في البر والبحر».

زينة للسماء: قال تعالى ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾.

رجوماً للشياطين: قال تعالى ﴿وجعلناها رجوماً للشياطين﴾.

علامات يهتدى بها: قال تعالى ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾.

(وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ) أي وللكافرين بربهم عذاب جهنم أيضاً، فليس العذاب مختصاً بالشياطين بل هو لكل كافر بالله من الإنس والجن.

وسميت جهنم بهذا الاسم: قيل: لبعد قعرها وقيل: لغلظ أمرها.

(وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾) أي وبئست النار مرجعاً ومصيراً للكافرين.

(إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾) أي إذا قذفوا وطرحوا في جهنم كما يطرح الحطب.

(سمعوا لها شهيقاً) أي سمعوا لجهنم صوتاً منكراً فظيعاً كصوت الحمار، لشدة توقدها وغليانها

(وهي تفور) تغلي بهم.

(تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ) أي يكاد ينفصل بعضهما من بعض من شدة غيظها عليهم وحقنها على أعداء الله.

(كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ) أي كلما طرح فيها جماعة من الكفرة.

(سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا) أي سألتهم الملائكة الموكلون على جهنم _وهم الزبانية _

سؤال توبيخ .

(أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾) أي ألم يأتكم رسول ينذركم ويخوفكم من هذا اليوم الرهيب ؟

قال المفسرون: وهذا السؤال زيادة لهم في الإيلام ليزدادوا حسرة فوق حسرتهم وعذاباً فوق عذابهم .

(قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا) أي أجابوا، نعم لقد جاءنا رسول منذر، وتلا علينا آيات الله، ولكننا كذبنا وأنكرنا رسالته.

(وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ) أي وقلنا تمادياً في التكذيب: ما أنزل الله من الوحي على أحد.

(إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾) وقلنا لهم ما أنتم أيها الرسل إلا في ضلال واضح عميق وبعد عن الحق.

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ) أي وقال الكفار: لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو كنا نسمع سماع طالب الحق ملتمس الهدى.

(مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾) أي ما كنا نستوجب الخلود في جهنم.

(فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ) فأقروا بإجرامهم وتكذيبهم للرسل.

(فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾) أي فبعداً وهلاكاً لأهل النار.

قال ابن كثير: عادوا على أنفسهم بالملامة، وندموا حيث لا تنفعهم الندامة.

الفوائد:

١- بيان الحكمة من خلق النجوم.

٢- بيان بعض عذاب أهل النار.

٣- شدة عذاب النار.

٤- أن النار بئس المصير والمرجع والمأوى للكفار.

٥- بيان أن الله لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه.

كما قال تعالى: ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ وقال تعالى: ﴿حتى اذا ما جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾.

٦- أن تكذيب الرسل موجب للعذاب الشديد.

٧- أن الكثير من الأمم كذبت رسولها.

٨- تقرير أن الكافر اليوم لا يسمع سماعاً ينفعه ولا يعقل عقلاً يحجزه عن المهالك.

٩- في يوم القيامة يندم الكافر لكن لا ينفع الندم.

كما قال تعالى: ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها. كذلك نجزي كل كفور. وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل .. ﴾.

١٠- أن السعير من أسماء النار .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) ﴾.

(إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)) يقول تعالى مخبراً عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس فينكف عن المعاصي

ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أي تكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل.

(وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ) الخطاب لجميع الخلق أي أخفوا قولكم وكلامكم أو أعلنوه وأظهروه.

(إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾) أي بما يخطر في القلوب.

(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) أي ألا يعلم الخالق.

(وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾) اللطيف: قال الشيخ السعدي: الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن، اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه.

(الخبير) هو العالم ببواطن الأمور وخفياتها.

ثم ذكر الله تعالى دلائل قدرته ووحدانيته وامتنانه على العباد فقال:

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً) أي الله جل وعلا جعل لكم الأرض لينة سهلة المسالك.

(فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) أي فاسلكوا أيها الناس في جوانبها وأطرافها.

قال ابن كثير: أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها للمكاسب والتجارات.

(وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ) أي وانتفعوا بما أنعم به جل وعلا عليكم من أنواع الكسب والرزق.

(وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾) أي المرجع يوم القيامة.

(أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ) أي هل أمنتم يا معشر الكفار ربكم العلي الكبير أن يخسف بكم الأرض فيغيبكم في مجاهلها.

(فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾) أي تذهب وتجيء وتضطرب.

(أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ) أي الله الذي في العلو.

(أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) أي ريحاً فيها حصباء تدمغكم.

(فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾) أي فستعلمون عند معاينة العذاب، كيف يكون إنذاري

(وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أي من الأمم السالفة والقرون الخالية.

(فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾) أي فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم ؟ أي عظيماً شديداً أليماً.

الفوائد :

١- أن الله لا يفوته من العلم شيء وإن دق وصغر .

٢- أن العبد إذا علم أن ربه متصف بدقة العلم وإحاطته بكل صغيرة وكبيرة حاسب نفسه على أقواله وأفعاله .

٣- أمرنا الله أن نتقيه ونعمل ما يجب وأن نبتعد عن كل ما يسخطه ويغضبه لأنه خبير بنا :_

فقال تعالى (واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) .

وأمر بالإيمان به وبرسوله وبكتابه فقال (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير) .

٤- فضل الخوف والخشية من الله .

٥- وفضل الخوف من الله بالغيب أي إذا كان غائباً عن أعين الناس .

قال تعالى(ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقال ﷺ (من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزلة، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة) رواه الترمذي.

(أدلج) قال النووي: سار من أول الليل، والمراد التشمير في الطاعة .

٦- دليل على ندب التسبب والكسب.

٧- أن ذلك لا ينافي التوكل، وفي الحديث (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً).

٨- تحـذير المعـرضـين عن الله وإنذارهم بـسـوء العـواقب إن اسـتمـروا على إعراضهم.

٩- في الهالكين الأولين عبر وعظات.

وقد أهلك الله عز وجل كثيراً منهم بسبب ذنوبهم.

فقال تعـالى ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحـد أو تسمع لهم ركزاً ﴾ .

١٠- إثبات علو الله وقد تواترت الأدلـة على علوه سبحانه وتعالى:

قال تعالى ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ وقال تعالى ﴿ وهو العلي الكبير﴾.

وقال تعالى ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ وقال تعالى ﴿ بل رفعـه الله إليـه﴾.

وقال تعالى ﴿ يخافون ربهـم من فوقهـم ﴾.

قوله تـعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يروْا إِلَى الطَّيـرِ فَوْقَـهُمْ صَـافَّات ويَقْبـضْنَ مَـا يُمْسكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ ينصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) ﴾ .

(أَوَ لَمْ يروْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ) أي أولم ينظروا نظر اعـتبار إلى الطيـور فوقهم باسطات أجنحتهـن في الجو عند طيرانها.

(ويَقْبِضْنَ) وتارة يضممن إذا ضربن بها.

(مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ) أي ما يمسكهن في الجو عن السقوط في حال البسط

والقبض إلا الخالق الرحمن.

﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ أي بما يصلح كل شيء من مخلوقاته.

(البصير) الذي يبصر كل شيء وإن دق وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويبصر ما تحت الأرضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع.

قال ابن القيم :

وهو البصيرُ يرى دبيبَ النملةِ السوداءِ تحت الصخْرِ والصّوَانِ
ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عروقَ بياضها بعيانِ
ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذلك تقلبَ الأجفانِ

يقول تعالى للمشركين الذي عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصراً ورزقاً منكراً عليهم .

﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ ﴾ أي من هذا الذي يستطيع أن يدفع عنكم عذاب الله من الأنصار والأعوان ؟ .

﴿ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي ما الكافرون في اعتقادهم أن آلهتهم تنفع أو تضر إلا في جهل عظيم وضلال مبين .

﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ أي من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده ؟ أي لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله وحده .

﴿ بَل لَّجُّوا ﴾ أي استمروا في طغيانهم .

﴿ فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ أي في معاندة واستكبار ونفور على إدبارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه .

﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ ﴾ هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي منكباً على وجهه أي يمشي منحياً لا مستوياً على وجهه أي لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب بل تائه حائر ضال

أهـذا أهدى:

(أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا) أي منتصب القامـة.

(عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢)) أي على طريق واضح بين وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيم ؟ هذا مثلهم في الدنيا وكذلك يكونون في الآخرة.

فالمؤمن يحشر يمشي سوياً على صراط مستقيم مفض به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم.

(قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ) أي ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً.

(وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ) وأنعم عليكم هـذه النعـم، وخص هذه الجوارح بالذكر لأنها أداة العلم والفهم.

(قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣)) أي قليلاً ما تشكرون ربكم على هذه النعم التي أنعمها عليكم.

(قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ) أي بثكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها.

(وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)) أي إليه وحده مرجعكم للحساب والجزاء.

(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥)). أي متى يكون الحشر والجزاء الذي تعدوننا به؟ إن كنتم صادقين فيما تخبروننا به من مجيء الساعة والحشر، وهـذا استهزاء منهـم.

(قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ) أي لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله عز وجل لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة.

(وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦)) أي وإنما عليّ البلاغ وقد أديته إليكم ﴿الإنذار هو الإخبار مع التخويف﴾.

الفوائد:

١- من آيات الله في الآفاق الدالة على قدرة الله وعلمه طيران الطير في السماء وهو يبسط جناحيه ويقبضهما ولا يسقط.

٢- إن الله يبصر جميع الأشياء وإن دقت وخفيت .

٣- تقرير حقيقة ثابتة وهي أن الكافر يعيش في غرور كامل ولذا يرفض دعوة الحق .

٤- أن الرزق بيد الله .

٥- أن الذي يستطيع النصر ودفع الشر هو الله.

٦- التحذير من العناد والاستكبار.

٧- نعمة الهداية على الصراط المستقيم وهي نعمة عظيمة.

٨- أن الكافر تائه ضال في الدنيا وكذلك سيكون في الآخرة.

٩- وجوب شكر الله على نعمة السمع والبصر والقلب.

١٠- أن الذي يشكر النعم قليل من الناس .

كما قال تعالى: ﴿ وقليل من عبادي الشكور﴾ وقال تعالى : ﴿ وإن تطع أكثر من الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾.

١١- إثبات البعث والجزاء وأن المرجع إلى الله.

البعث: هو إخراج الناس من قبورهم وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

قال تعالى آمراً نبيه ﷺ أن يقسم ﴿ قل بلى وربي لتبعثن .. ﴾. وقال تعالى: ﴿قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴾. وقال ﷺ : (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء ..) .

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ (٣٠) ﴾ .

(فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) أي فلما رأوا العذاب قريباً منهم وعاينوا أهوال القيامة .

﴿ سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي ساءهم ذلك لما يعلمون ما لهم هناك من الشر.

﴿ وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي يقال لهم على وجه التوبيخ هذا الذي كنتم تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه استهزاء وتكذيباً .

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه .

﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا ﴾ أي إن أماتني الله ومن معي من المؤمنين: أو رحمنا بتأخير آجالنا .

﴿ فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ أي فمن يحميكم من عذاب الله الأليم .

قال المفسرون: كان الكفار يتمنون هلاك النبي ﷺ والمسلمين، فأمره الله أن يقول لهم: إن أهلكني الله بالإماتة وأهلك من معي، فأي راحة وأي منفعة لكم فيه، ومن الذي يجيركم من عذاب الله إذا نزل بكم؟ هل تظنون أن الأصنام تخلصكم وتنقذكم من العذاب الأليم .

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ أي قل لهم: آمنا بالله الواحد الأحد، وعليه توكلنا في جميع أمورنا.

﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ أي فسوف تعلمون عن قريب من هو في الضلالة نحن أم أنتم؟ وفيه تهديد للمشركين.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ أي ذاهباً في الأرض إلى أسفل فلا ينال بالفؤوس الحداد ولا السواعد الشداد.

﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي نابع سائح جار على وجه الأرض، أي لا يقدر على ذلك إلا الله، فمن فضله أن أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض.

من فوائد الآيات:

١- إثبات شدة عناد الكفار باستبعادهم وقوع الوعد المحقق.

٢- أن يوم القيامة لا يعلم متى هو إلا الله.

كما قال تعالى: ﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾ وقال تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو﴾.

٣- أن وجوه الكفار يوم القيامة ذليلة خاشعة لهول ذلك اليوم.

٤- أن الرسول ﷺ ليس عليه إلا البلاغ كما قال تعالى ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾.

٥- أن الكفار تسود وجوههم يوم القيامة.

كما قال تعالى ﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾.

٦- بيان ما كان عليه المشركون من عداوة لرسول ﷺ حتى تمنوا موته.

٧- وجوب التوكل على الله بعد الإيمان.

٨- من آيات الله أنه سبحانه يخرج الماء من تحت الأرض ليشرب الناس.

سورة القلم

قوله تعالى: ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٧ ﴾.

(نٓ) هذه من الحروف المقطعة التي تكون في أوائل السور مثل (ألم ، ص ، ن ، عسق) وقد اختلف العلماء في المراد بها على أقوال:

فقيل: هي مما استأثر الله بعلمه.

وقيل: هي أسماء للسور التي افتتحت بها.

وقيل: هي من أسماء الله.

وقيل: لا معنى لها لكنها ذكرت إعجازا للقرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها.

ويدل لذلك أنه غالباً يأتي بعدها ذكر للقرآن والانتصار له:

قال تعالى: ﴿ ألم . ذلك الكتاب . . . ﴾.

وقال تعالى: ﴿ المص . كتاب أنزل . . . ﴾.

وقال تعالى: ﴿ طه . ما أنزلنا عليك القرآن . . . ﴾.

وقال سبحانه ﴿ ص . والقرآن ذي الذكر ﴾.

وقال سبحانه ﴿ ق . والقرآن المجيد ﴾.

(وَالْقَلَمِ) اختلف في المراد بالقلم:

فقيل: الذي كتب به في اللوح المحفوظ.

وقيل: الذي يكتب به الناس.

ورجحه ابن كثير وقال: " الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به كقوله ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ فهو قسم منه تعالى وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ".

(وَمَا يَسْطُرُونَ (١)) أي وما يكتبون .

(مَا أَنتَ) أي يا محمد.

(بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)) أي لست ولله الحمد بمجنون، كما يقول الجهلة من قومك، والمكذبون بما جئتهم به من الهدى والحق المبين، فنسبوك فيه إلى الجنون .

(وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣)) أي بل لك الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد، فمعنى غير ممنون: أي غير مقطوع .

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)) قال ابن عباس: «إنك لعلى دين عظيم وهو الإسلام».

(وقد سألت عائشة عن خلق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن) رواه مسلم .

قال ابن كثير: « ومعنى هذا أنه (صار امتثال القرآن ـ أمراً ونهياً ـ سجية له وخلقاً تطبعه، مهما أمره القرآن فَعَلَه، ومهما نهاه عنه تَرَكَه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، والحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل».

(فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥)) أي سترى يا محمد، ويرى كفار مكة إذا نزل بهم العذاب – وهذا وعيد لهم .

(بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ(٦)) أي أيكم الذي فتن بالجنون؟ هل أنت كما يفترون، أم هم بكفرهم وانصرافهم عن الهدى .

قال ابن كثير: " ومعنى المفتون ظاهر أي الذي قد فتن عن الحق وضل به .

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧)) أي هو سبحانه

يعلم من هو الشقي المنحرف عن دين الله ومن هو التقي المهتدي إلى الدين الحق .

الفوائد:

١– إعجاز القرآن العظيم وتحديه للعرب أن يأتوا بمثله .

٢– عظم نعمة القلم، فإن القلم أخو اللسان، ونعمة من الرحمن.

٣– في قسم الله بالقلم والكتابة إشادة بفضل الكتابة والقراءة.

٤– أن الله يقسم بما شاء .

٥– دفاع الله عن نبيه حيث نزهه عن الجنون، ودفاع الله يتمثل بأمور:

أولاً: الرد عليهم بالآيات:

كما قال تعالى ﴿ أم يقولون به جنة . بل جاءهم بالحق...﴾.

(جنة): أي جنون. (بل جاءهم بالحق): أي ليس بمجنون بل هو رسول كريم جاء بالحق الواضح.

وقال تعالى ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾.

ثانياً: قوله ﴿ إنك لعلى خلق عظيم ﴾.

فالمجنون سفيه لا يعي ما يقول ولا يحسن أن يتصرف، والخلق العظيم أرقى منازل الكمال في عظماء الرجال.

فأخلاق المجانين مذمومة بل لا أخلاق لهم، وهنا أقصى مراتب العلو.

٦– أن الله لم يرسل رسولا إلا قال قومه: إنه ساحر أو مجنون

قال تعالى ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون. أتواصوا به بل هم قوم طاغون ﴾.

وسبب تواطئهم على ذلك هو مشابهة بعضهم لبعض في الطغيان

كما قال تعالى ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ﴾.

٧– استحباب تحلي المسلم بالأخلاق الفاضلة اقتداء بالنبي ﷺ .

وحسن الخلق له فضائل:

أولاً: أن النبي ﷺ حصر دعوته في حسن الخلق

قال ﷺ : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

ثانياً: أن الله أثنى على نبيه بحسن خلقه

كما في هذه الآية ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾.

ثالثاً: كان النبي ﷺ يدعو الله أن يهديه لأحسن الأخلاق

قال ﷺ : (اللهم اهدني لأحسن الأخلاق).

رابعاً: أن من حسّن خُلقه أحبه الرسول ﷺ .

قال ﷺ : (إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً في الآخرة أحاسنكم أخلاقاً).

خامساً: أمر النبي ﷺ بحسن الخلق

قال ﷺ : (. . . وخالق الناس بخلق حسن).

سادساً: حسن الخلق أثقل شيء في الميزان

قال ﷺ : (ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق).

سابعاً: حسن الخلق يدل على كمال الإيمان

قال ﷺ : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً).

ثامناً: أن حسن الخلق من أسباب دخول الجنة

(سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة. قال: تقوى الله وحسن الخلق).

تاسعاً: حسن الخلق يعمر الديار

قال ﷺ : (حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار).

٨- عظم أجر النبي ﷺ عند ربه بسبب دعوته وتحمله الأذى في سبيله فله أجر غير منقطع.

٩- سعة علم الله حيث يعلم المهتدي من الضال.

قوله تعالى: ﴿ فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦) ﴾.

(فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨)) أي فلا تطع رؤساء الكفر والضلال الذين كذبوا برسالتك وبالقرآن .

قال ابن الجوزي: " وذلك أن رؤساء أهل مكة دعوه إلى دين آبائه فنهاه الله أن يطيعهم ".

(وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩)) اختلف العلماء فيها:

فقيل: لو ترخص فيرخصون.

وقيل: لو تكفر فيكفرون

قال ابن جرير الطبري: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ودّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم فيلينون لك في عبادتك إلهك كما قال جل ثناءه ﴿ ولو أنا ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً. إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾.

(وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ (١٠)) أي لا تطع يا محمد كثير الحلف بالحق والباطل (مهين) حقير فاجر .

(هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١)) هماز: أي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعبث (مشاء بنميم) وهو الذي ينقل الكلام بين الناس من أجل الإفساد بينهم .

(مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢)) مناع للخير: أي يمنع ما عليه وما لديه من الخير (معتد) أي ظالم للناس معتد على أموالهم وأنفسهم (أثيم) كثير الإثم لتناوله

المحرمات .

﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ العتل: الفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع حاف وقد قال ﷺ : (ألا أنبئكم بأهل النار: كل عتل جواظ مستكبر) رواه أحمد .

(زنيم) اختلف العلماء في الزنيم:

فقيل: أنه الدعيّ في قريش وليس منهم .

وقيل: الذي يعرف بالشر .

وقيل: هو ولد الزنا .

وقيل: الظلوم .

قال ابن كثير: " الأقوال في هذا كثيرة وترجع إلى ما قلناه وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر الذي يعرف به من بين الناس وغالباً ما يكون دعياً ولد زنا، فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط على غيره" .

﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي لأن كان ذا مال وبنين قال في القرآن ما قال، وزعم أنه أساطير الأولين، وكان ينبغي أن يقابل النعمة بالشكر لا بالجحود والتكذيب.

﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ أي إذا قرئت آيات القرآن على ذلك الفاجر قال مستهزئاً ساخراً: إنها خرافات وأباطيل المتقدمين اختلقها محمد. قال تعالى رداً عليه:

﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ الخرطوم الأنف، وقد اختلف في هذه السمة:

فقيل: سيبين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا يخفى عليهم السمة على الخراطيم.

وقيل: يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال.

وقيل: سنسمه سمة أهل النار يعني تسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم.

وقد رجح ابن جرير وابن كثير أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة.

الفوائد:

١- التحذير من كثرة الحلف، لأن ذلك استهانة بالله.

٢- التحذير من الغيبة وهي محرمة بالكتاب والسنة والإجماع.

٣- تحريم النميمة وهي نقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد

وقد قال ﷺ: (لا يدخل الجنة نمام) .

وهي من أسباب عذاب القبر .

قال ابن عباس رضي الله عنه : (مر النبي ﷺ بقبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان بكبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ...) .

على المسلم أن يحذر من هذه الصفات السيئة:

كثرة الحلف، الغيبة، النميمة، منع الخير الواجب، الاعتداء على الناس، ارتكاب المحرمات، الغلظة، الجفاء، الشهرة بالشر.

٤- التحذير من كثرة المال والولد فإنهما سبب الطغيان

قال تعالى (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ
(١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ
(٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ
يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥)
فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا
تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ
(٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ

﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعم الجسيمة، وهو بعْثه محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة.

قال المفسرون: كان لرجل مسلم بستان فيه أنواع النخيل والزروع والثمار، وكان إذا حان وقت الحصاد دعا الفقراء فأعطاهم نصيبهم وافراً منه، وأكرمهم غاية الإكرام، فلما مات الأب ورثه أبناؤه الثلاثة فقالوا: عيالنا كثير والمال قليل ولا يمكننا أن نعطي المساكين كما يفعل أبونا، فتشاوروا فيما بينهم وعزموا على ألا يعطوا أحداً من الفقراء شيئاً وأن يجنوها وقت الصباح خفْيَة.

(إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾) أي حلفوا فيما بينهم ليجزن ثمرها في الصباح الباكر قبل أن يعلم المساكين حتى لا يعطوهم شيئاً.

(وَلا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾) قيل: أي لا يقولوا إن شاء الله، وهذا قول الأكثر. وقيل: لا يستثنون حق المساكين.

(فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾) أي أصابتها آفة سماوية.

(فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾) كالليل الأسود المظلم.

(فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾) أي لما كان وقت الصباح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى الجذاذ أي القطع.

(أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾) أي اذهبوا مبكرين إلى ثماركم وزروعكم إن كنتم صارمين: أي حاصدين للثمار.

(فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾) أي فانطلقوا نحو البستان يتشاورون في صوت خافت حتى لا يفطن لهم فقراء البلد ومساكينها وأجمعوا على:

(أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾) أي لا يدخلوا في هذا اليوم أحداً من

الفقراء إلى البستان ولا تمكنوه من الدخول.

﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ أي انطلقوا على حرد.

وقد اختلف في معنى حرد:

فقيل: على قدرة، وقيل: على حد، وقيل: على أمر مجمع قد أسسوه بينهم، وقيل: على غضب.

قال ابن جرير: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال معناه: غدوا على أمر قد قصدوه واعتدوه واستسروه بينهم قادرين عليه.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وهي على الحالة التي قال الله عز وجل قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بها فاعتقدوا أنهم قد أخطئوا الطريق ولهذا قالوا: (إنا لضالون) أي قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هي فقالوا:

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي بل هي هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب.

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ قال أوسطهم: أي أعدلهم وأفضلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لو لا) أي: هلا (تسبحون) قيل: المراد تستثنون: وهو قول إن شاء الله عند قولهم ليصرمنها مصبحين.

وقيل: للاستثناء تسبيحاً، لأن التسبيح في اللغة تنزيه الله عن كل سوء، والاستثناء تعظيم الله .

وقيل: لولا تسبحون أي هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم .

﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ نزهوا الله أن يكون ظالماً فيما صنع، وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا إنا كنا ظالمين: بمنعنا المساكين.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا

أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ ثم نادوْا على أنفسهم بالويل:

(قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١)) أي اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا.

(عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢)) أي لعل الله أن يعطينا أفضل منها بسبب توبتنا واعترافنا بخطيئتنا، إنا إلى ربنا راغبون: أي راجعون لعفوه طالبون لإحسانه وفضله.

(كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)) أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وبدل نعمة الله كفراً، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون: أي هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق وأشد وأعظم من عذاب الدنيا.

الفوائد:

١- أن الابتلاء يكون بالسراء كما يكون بالضراء.

قال تعالى: ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾.

٢- استحباب ذكر قصص الماضين لما في ذلك من الحكم:

أولاً: العبرة والاتعاظ.

ثانياً: التحذير من فعل كفعلهم.

ثالثاً: أن الله قادر على كل شيء

رابعاً: معرفة أثر جحود نعمة الله علينا.

خامساً: فضل شكر النعمة .

٣- أن الله يثيب على النوايا الحسنة ويعاقب على النوايا السيئة.

قال تعالى ﴿ فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً . . . ﴾.

وقال سبحانه ﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم. . . ﴾.

وقال النبي ﷺ : (إن بالمدينة رجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، وفي رواية: إلا شركوكم في الأجر، حبسهم العدو) متفق عليه .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٤١) ﴾.

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله وخالفوا أمره، بيّن ما للمتقين فقال:

(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤)) أي أن للمتقين في الآخرة حدائق وبساتين ليس فيها إلا النعيم الخالص الذي لا يشوبه كدر ولا هم ولا غم كما هو حال الدنيا.

قال ﷺ : (قال تعالى: أعددت لعبادي الصالحين: مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر) .

(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥)) الاستفهام للإنكار والتوبيخ، أي أفنساوي بين المطيع والعاصي ؟

قال ابن كثير: " أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسماء" ولهذا قال سبحانه :

(مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)) يعجب منهم حيث أنهم يسوون المطيع بالعاصي والمؤمن بالكافر، فإن مثل هذا لا يصدر عن عاقل.

(أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧)) يقول تعالى: أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمناً حكماً مؤكداً كما

تدعونه ؟

(إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨)) أي ألكم في هذا الكتاب فتختارون وتشتهون وتطلبون؟

قال الطبري: " هذا توبيخ لهؤلاء القوم وتقريع لهم فيما كانوا يقولون من الباطل، ويتمنون من الأماني الكاذبة)" .

(أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩)) أي أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة، إن لكم لما تحكمون: أي أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون.

(سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ (٤٠)) أي سل هؤلاء المشركين أيهم كفيل بأن لهم علينا أيماناً بأن لهم الجنة، وبأنهم يستوون مع المؤمنين.

(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٤١)) أم لهم شركاء من الأصنام والأنداد يكفلون لهم بذلك، فليأتوا بهم إن كانوا صادقين في دعواهم.

وهذا تعجيز للكفار والمراد إن كان لكم شركاء يقدرون على شيء فأتوا بهم وأحضروهم حتى نرى حالهم .

الفوائد:

١- فضل التقوى وأهلها. (وقد سبقت ثمرات التقوى في سورة النبأ)

٢- أن الجنات فيها كل نعيم فلا هم ولا غم ولا حسد ولا غل.

ـ قال تعالى (ونزعنا مافي صدورهم من غل . . .).

ـ وقال سبحانه (لا يمسهم فيها نصب . . .).

ـ وقال ﷺ : (إن لكم بها أن تحيوا فلا تموتوا ، وتنعموا فلا تيأسوا).

٣- أنه لا يستوي المجرم مع المسلم، وقد دل على ذلك آيات:

ـ قال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار).

ـ وقال سبحانه (وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء).

ـ وقال سبحانه (أفنجعل المسلمين كالمجرمين).

٤- تعجيز هؤلاء الكفار .

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧) ﴾.

لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم، بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى:

(يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢)) يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام .

روى البخاري من حديث أبي سعيد قال سمعت النبي ﷺ يقول (يكشف ربنا عن ساق، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاءً وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً).

(خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) هذه حال وجوه الكفار وأبصارهم يوم القيامة، إذ يدعون إلى السجود فلا يستطيعون فحينئذ تخشع أبصارهم، أي تذل وتهان، ويظهر عليها أثر الذل والهوان كما قال تعالى ﴿ وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قتره ﴾.

(وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣)) أي والحال أنهم كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود وهم أصحاء الجسم معافون فيأبون.

قال بعض العلماء: لا يدعون إلى السجود تعبداً وتكليفاً، ولكن توبيخاً وتعنيفاً على تركهم السجود في الدنيا، ثم إنه تعالى يسلب عنهم القدرة على السجود ويحول بينهم وبين الاستطاعة حتى تزداد حسرتهم وندمهم على ما فرطوا فيه حين دعوا إليه في الدنيا وهم سالمون الأطراف والمفاصل.

(فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ) أي القرآن، وهذا تهديد شديد، أي دعني وإياه أنا أعلم به منه كيف أستدرجه وأمده في غيه وأنظره ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر.

(سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾) أي سنأخذهم لطريق الاستدراج بالنعم إلى الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون.

قال الحسن: " كم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه".

قال الرازي: " الاستدراج إنما حصل لهم من الإنعام عليهم لأنهم يحسبونه تفضيلاً لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم".

(وَأُمْلِي لَهُمْ) أي أؤخرهم وأنظرهم وأمدهم وذلك من كيدي ومكري بهم.

(إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾) أي عظيم لمن خالف أمري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي.

(أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾) أي أتسألهم يا محمد غرامة مالية على تبليغ الرسالة، فهم معرضون عن الإيمان بسبب ذلك التكليف الثقيل ببذلهم المال ؟

الغرض توبيخهم في عدم الإيمان فإن الرسول لا يطلب منهم شيئاً من الأجر .

قال ابن كثير: " والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذه منهم، بل ترجوا ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جئتهم بمجرد الجهل والكفر والعناد".

(أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾) أي أم هل عندهم اللوح المحفوظ الذي فيه

الغيب، فهم ينقلون منه أنهم خير من أهل الإيمان، فلذلك أصروا على الكفر والطغيان؟ وهو استفهام على سبيل الإنكار والتوبيخ.

الفوائد:

١- بيان شدة أهوال يوم القيامة وأن الرب سبحانه وتعالى يأتي لفصل القضاء، فلا يبقى أحد إلا يسجد، وأن الكافر والمنافق لا يستطيعون السجود عقوبة له وفضيحة .

٢- إثبات الساق لله تعالى، إثباتاً يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه .

٣- التهديد لمن يكذب بالقرآن .

٤- أن الله ليملي للظالم ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

قال ﷺ : (إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخْذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) .

وقال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون).

٥- وجوب الصبر على مشاق الدعوة .

٦- الذل والصغار والهوان للكافر من يوم القيامة .

كما قال تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه).

وقال سبحانه (وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة).

قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٥٢) ﴾.

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) يقول تعالى: فاصبر يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم ، فإن الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك.

(وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨)) صاحب الحوت هو يونس عليه السلام، كما قال تعالى (وإن يونس لمن المرسلين. إذ أبق إلى الفلك المشحون. فالتقمه الحوت وهو مليم)

إذ نادى: نداءه أخبر الله عنه كما قال سبحانه (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين).

(ولاتكن كصاحب الحوت) نهى عن مشابهته في الضجر والعجلة والغضب على قومه، الذي آل به إلى تركهم وركب السفينة فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم.

وليس المراد: ولا تكن كصاحب الحوت في دعائه وندائه .

قال قتادة: إن الله تعالى يقوي نبيه ﷺ ويأمره بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت .

(وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨)) أي مملوء غماً وهماً .

(لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ) اختلف العلماء في المراد بالنعمة:

فقيل: النبوة، والمعنى: لولا أن الله قد جعله نبياً .

وقيل: هو فضل الله عليه ونعمته عليه بعبادته السابقة، أي فلولا عبادته السابقة التي تفضل الله بها عليه .

وقيل: لولا أن رحمه الله .

(لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩)) أي لولا أن أدركته رحمة الله حيث ألهمه الله التوبة ووفقه لها لنبذ أي لطرح بالفضاء الواسع وهو مذموم لكن لما تاب الله عليه طرح على ساحل البحر وهو غير مذموم بل محمود.

قال الشنقيطي: " بيّن تعالى أنه لم ينبذ بالعراء على صفة مذمومة، بل إنه تعالى أنبت عليه شجرة تظله وتستره كما قال تعالى (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) ".

(فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠)) أي اصطفاه مرة ثانية بعد الأولى فجعله من الصالحين أي الكاملين الصلاح من الأنبياء والمرسلين وأرسله مرة ثانية إلى أهل بلاده بعد ذلك الانقطاع كما قال تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون).

(وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١)) في معنى ليزلقونك قولان للعلماء:

قيل: لقد كاد الكفار من شدة عداوتهم لك يامحمد أن يصرعوك بأعينهم ويهلكوك.

وقيل: إن الكفار قصدوا أن يصيبوا رسول الله بالعين.

ورجح ابن الجوزي القول الأول وقال: ويدل على صحته أن الله تعالى قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله تعالى (لما سمعوا الذكر) والقوم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة، فيحدون النظر إليه بالبغضاء، وإصابة العين إنما يكون مع الإعجاب والاستحسان لا مع البغض.

(لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون) أي حين سمعوك تقرأ القرآن، فيؤذونه بألسنتهم ويقولون إنه لمجنون.

(وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٥٢)) أي وما هذا القرآن المعجز إلا موعظة وتذكير للإنس والجن فكيف ينسب من نزل عليه إلى الجنون.

الفوائد:

١- وجوب الصبر على الدعوة إلى الله.

٢- التأني والصبر في الدعوة إلى الله وعدم العجلة والضجر.

٣- بيان حال المشركين مع الرسول وما كانوا يضمرونه من البغض والحسد.

٤- فضيلة هذا الذكر: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

حيث كانت سبباً في نجاة نبي الله يونس كما قال تعالى ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين. للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾.

وقال ﷺ : (دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له بها) .

٥- أن المسلم قد يعاقب على ذنب وقد يعفى عنه .

قال تعالى: ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾.

وقال تعالى: ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ أي ظن أن الله لن يضيق عليه.

٦- منزلة هذا النبي الكريم (يونس) وبيان أن الله اجتباه وجعله من الصالحين .

سورة الحاقة

قوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ .

(الْحَاقَّةُ ﴿١﴾) اسم من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك: لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد، ولهذا عظم أمرها فقال:

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾) فإن لها شأناً عظيماً، وهولاً جسيماً.

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾) أي كذب قوم صالح، وقوم هود بالقارعة أي القيامة.

وسميت القيامة قارعة: لأنها تقرع قلوب العباد بأهوالها وشدائدها، كما قال تعالى: ﴿ القارعة ما القارعة. وما أدراك ما القارعة، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ...﴾.

(فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾) اختلف العلماء في المراد بالطاغية: على قولين:

فقيل: المراد بالطاغية أي طغيانهم وعصيانهم وتكذيبهم، كما قال تعالى: ﴿كذبت ثمود بطغواها ﴾.

وقيل: الطاغية الصيحة الشديدة التي أهلكتهم .

وهذا اختيار ابن جرير، وهو الصحيح .

كما قال تعالى: ﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضر ﴾.

وقال تعالى: ﴿ فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ﴾.

(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦)) أي: وأما عاد - قوم هود - (فأهلكوا بريح صرصر) أي قوية شديدة الهبوب، لها صوت أبلغ من صوت الرعد القاصف (عاتية) عتت على خزانها في الهبوب فتجاوزت في الشدة، والعصوف مقدارها المعروف في الهبوب والبرد.

وقيل: عتت على عاد، وزادت على الحد، ورجحه الشيخ السعدي رحمه الله.

(سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا) سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً: أي متتابعات بلا انقطاع.

(فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ) أي فترى أيها المخاطب القوم في منازلهم موتى هلكى لا حراك لهم.

(كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧)) أي كأنهم جذوع النخل التي قطعت رؤوسها الخاوية، الساقط بعضها على بعض.

(فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ (٨)) أي : فهل ترى أحداً من بقاياهم ؟ أو تجد لهم أثراً؟ لقد هلكوا عن آخرهم.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ﴾.

(وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ) أي وجاء فرعون الجبار، ومن تقدمه من الأمم الطاغية التي كفرت برسولها.

(الْمُؤْتَفِكَاتُ) أي المنقلبات، وهي قرى قوم لوط التي اقتلعها جبريل ورفعها على جناحه قرب السماء ثم قلبها وكانت خمس.

(و بِالْخَاطِئَةِ (٩)) أي بالفعلة الخاطئة المنكرة، وهي الكفر والعصيان والتكذيب بما أنزل الله.

الخاطئة التي أتى بها فرعون هي:

قوله تعالى: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ وقوله تعالى: ﴿يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾.

هذا فضلاً عن جرائمه من ذبح الأطفال واستحياء النساء وتسخير الرجال.

والخاطئة التي أتى بها قوم عاد هي:

كما قال تعالى: ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة﴾.

والخاطئة التي أتى بها قوم ثمود هي:

كما قال تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾.

والخاطئة التي أتت بها المؤتفكات [قرى قوم لوط] هي:

إتيان الذكران من العالمين.

(فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ) وهذا جنس، أي: كلٌ كذب رسول الله إليهم، كما قال تعالى: ﴿كل كذب الرسل فحق وعيد﴾.

ومن كذب برسول فقد كذب بجميع الرسل، كما قال تعالى: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ وقال تعالى: ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ وقال تعالى: ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾ وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد.

(فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠)) أي عظيمة أليمة شديدة.

(إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ) أي لما تجاوز الماء حده حتى علا كل شيء وارتفع على الوجود.

وذلك بسبب دعوة نوح على قومه حين كذبوه وخالفوه.

١- حيث أنه دعاهم واجتهد بدعوتهم، كما قال تعالى: ﴿إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً. فلم يزدهم دعائي إلا فراراً﴾.

٢- ولبث فيهم طويلاً يدعوهم، كما قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾.

٣- فلما لم يستجيبوا دعا عليهم، كما قال تعالى: ﴿وقال نوح ربّ لا تذر على

الأرض من الكافرين دياراً ...﴾.

(حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١)) حملناكم على السفينة الجارية على وجه الأرض.

فإن قال قائل: أنا لم أحمل في السفينة ولم أرها.

فالجواب: أن حمل الآباء وإنجاء الآباء يُعدُّ إنجاءً للأبناء وحملاً لهم، كما قال تعالى لبني إسرائيل، والخطاب موجه للذين كانوا في زمن النبي ﷺ يسكنون مدينته ومن حولها: ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ﴾ والذين أنجاهم إنما هم المعاصرون لفرعون، وهم أجداد من كانوا زمن النبي ﷺ .

(لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً) اختلف العلماء في الضمير على من يعود؟

فقيل: على نفس السفينة، قالوا: فقد أبقاها الله حتى رآها أوائل هذه الأمة.

وقيل: الضمير يعود على جنس السفينة، أي وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار.

ورجح هذا القول ابن كثير، ويدل عليه: قوله تعالى: ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون. وحملنا لهم من مثله ما يركبون﴾.

(وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٢)) أي وتفهم هذه النعمة من نعمة إنجائنا لأهل الإيمان وإغراقنا لأهل الكفر والعصيان، وتعقلها أذن سامعة عاقلة منتفعة بسماع الأخبار ومنتفعة بالوعظ والتذكير .

قال الشيخ السعدي: " وهذا بخلاف أهل الإعراض والغفلة، وأهل البلادة وعدم الفطنة، فإنهم ليس لهم انتفاع بآيات الله لعدم وعيهم عن الله وتفكرهم بآياته".

الفوائد :

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- إثبات اسم من أسماء يوم القيامة.

٣- شدة يوم القيامة.

٤- أن الكفر والتكذيب سبب في حلول العذاب والانتقام، قال تعالى: ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية. وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾.

٥- أن تكذيب الرسول ﷺ ومعصيته سبب للعذاب الدنيوي والأخروي.

٦- ينبغي الاعتبار والاتعاظ بحادثة الطوفان.

٧- شدة عذاب الله على الظالمين.

٨- أن الله لا يهلك أمة إلا بعد إرسال رسول إليهم لينذرهم.

٩- التنويع في عذاب الكفار.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) ﴾.

(فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣)) اختلف العلماء ما المراد بالنفخة هذه ؟

فقيل: هي النفخة الأولى [لخراب العالم].

وقيل: هي نفخة القيام لرب العالمين، ورجحه ابن كثير وقال: " يقول تعالى مخبراً عن أهوال يوم القيامة، وأول ذلك نفخة الفزع، ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور، وهي هذه النفخة، وقد أكدها هنا بأنها واحدة، لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع".

(وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤)) أي ورفعت الأرض والجبال عن أماكنها، فضرب بعضها ببعض حتى تندق وتتفتت وتصير كثيباً مهيلاً .

قال بعض العلماء: " حملها ملك من الملائكة بأمر ربه سبحانه وتعالى".

فإن قال قائل: الأرض مفردة، والجبال جمع ، فإذا ضمت الجبال إلى الأرض

فذلك جمع، فلماذا قال: ﴿ فدكتا ﴾ بالتثنية؟

فالجواب: لأن الجبال عوملت كالشيء الواحد، فلما أضيفت إلى الأرض أصبحت مثنى، ولذا قيل: فدكتا .

(فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾) أي قامت القيامة .

(وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾) أي وانصدعت السماء فهي يومئذ ضعيفة ليس فيها تماسك ولا صلابة، بعد تلك القوة والصلابة العظيمة، وما ذاك إلا لأمر عظيم أزعجها، وكرب جسيم هائل أوهاها وأضعفها.

والسماء كانت قوية متماسكة.

كما قال تعالى: ﴿والسماء ذات الحبك﴾.

وقال تعالى: ﴿وبنينا فوقكم سبعاً شداداً ﴾.

(وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا) الملك اسم جنس، أي الملائكة على أرجاء السماء وجوانبها، خاضعين لربهم، مستكنين لعظمته، ينتظرون أمره.

(وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾) اختلف العلماء ما المراد بالثمانية ؟

فقيل: ثمانية من الملائكة، وهم حملة العرش.

وقيل: هم ثمانية صفوف من الملائكة.

ومن حجتهم قوله تعالى: ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾.

والراجح الأول.

وقد ورد حديث في عظم حملة العرش:

عن جابر (قال : قال رسول الله ﷺ : (أذن لي أن أحدث عن ملَك من ملائكة الله من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام) . رواه أبو داود

(يَوْمَئِذٍ) أي يوم القيامة .

(تُعْرَضُونَ) أي على الله، عالم السرّ والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من

أموركم.

﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨)﴾ أي لا يخفى عليه شيء من أموركم، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر.

الفوائـــد:

١- إثبات النفخ بالصور.

٢- بيان شيء من أهوال يوم القيامة.

٣- إثبات عرش الرحمن وعظمته، وقد وصفه الله بأوصاف:

- وصفه بالعظمة، فقال تعالى: ﴿...ورب العرش العظيم﴾.

- ووصفه بأنه كريم، فقال تعالى : ﴿...رب العرش الكريم﴾.

- ووصفه بأنه مجيد، فقال تعالى : ﴿ذو العرش المجيد﴾.

والعرش: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم.

٤- إثبات العرض على الله.

كما قال تعالى: ﴿وعرضوا على ربك صفاً﴾.

٥- إثبات علم الله الكامل الشامل.

٦- على المسلم أن يحرص على تقوى الله في السر والعلن، لأنه سبحانه يعلم كل شيء وسيواجهه يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) ﴾ .

(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة

بيمينه، لأنه من السعداء، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه:

﴿ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ ﴾ أي خذوا اقرؤوا كتابية، لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "يقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور، ومحبة أن يطلع الخلق على ما منّ الله به عليه من الكرامة: (هاؤم اقرءوا كتابية) أي دونكم كتابي، فاقرؤوه، فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب".

والذي أوصلني إلى هذه الحال، ما منّ الله به عليّ من الإيمان بالبعث والحساب والاستعداد له، ولهذا قال:

﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي أيقنت ـ فالظنّ هنا بمعنى اليقين ـ أني سألقى حسابي وجزائي يوم القيامة، فأعددت له العدة من الإيمان والعمل الصالح.

ثم قال تعالى مبيناً جزاءه:

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ ﴾ أي مرضية هنية، جامعة لما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وقد رضوها ولم يختاروا عليها غيرها.

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دورها، دائم حبورها.

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي ثمرها وجناها، من أنواع الفواكه قريبة سهلة التناول على أهلها، ينالها أهلها قياماً وقعوداً ومتكئين، ويقال لهم إكراماً وإحساناً:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي من كل طعام لذيذ، وشراب شهي.

﴿هَنِيئًا ﴾ أي تاماً كاملاً من غير مكدر ولا منغص، وذلك الجزاء الحاصل لكم:

﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ أي بسبب ما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام الماضية، يعني أيام الدنيا.

ولما ذكر الله حال السعداء، ذكر حال الأشقياء فقال:

(وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ) هؤلاء هم أهل الشقاء يُعْطَون كتبهم المشتملة على أعمالهم السيئة بشمالهم تمييزاً لهم وخزياً وعاراً وفضيحة، فيقول أحدهم من الهم والغم والحزن:

(فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥)) أي فيقول إذا رأى قبائح أعماله: ياليتني لم أعط كتابي، لما يحصل له من الخجل والافتضاح.

قال الشيخ السعدي: " لأنه يبشر بدخول النار والخسارة الأبدية".

(وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦)) لأنه لا حاصل له في ذلك الحساب، إنما كله عليه.

(يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧)) يقول: ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت هي الفراغ من كل ما بعدها، ولم يكن بعدها حياة ولا بعث.

(مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨)) أي لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه، بل خلص الأمر إليّ وحدي فلا معين لي ولا مجير.

(هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩)) أي ذهب واضمحل، فلم تنفع الجنود ولا الكثرة، ولا العَدَد ولا العُدَد، ولا الجاه العريض، بل ذهب كله أدراج الرياح.

الفوائـــد:

١- إثبات نشر الصحف يوم القيامة.

مسائلها:

أولاً: ذكر تطاير الصحف في آيات:

قال تعالى: ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾.

قوله:﴿ طائره ﴾ قال الشنقيطي: "أي جعلنا عمله أو ما سيق له من شقاوة في عنقه، أي لازماً له لزوم القلادة لا ينفك عنه ".

ثانياً: بين الله أشياء من صفات هذا الكتاب.

فمن صفاته: أن المجرمين مشفقون خائفون مما فيه، وأنه لا يترك صغيرة ولا كبيرة

إلا أحصاها.

قال تعالى: ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾.

ثالثاً: أن بعض الناس يعطى كتابه باليمين ، وهو السعيد .

قال تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً. وينقلب إلى أهله مسروراً ﴾.

وقال تعالى: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابية. إني ظننت أني ملاقٍ حسابية. فهو في عيشة راضية. في جنة عالية. قطوفها دانية﴾.

رابعاً: وأن بعض الناس يعطى كتابه بشماله، وهو الشقي.

قال تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابية. ولم أدر ما حسابية. يا ليتها كانت القاضية. ما أغنى عني مالية. هلك عني سلطانية﴾.

وقال سبحانه: ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً. ويصلى سعيراً ﴾.

٢- أن الإيمان بالبعث سبب لإعطاء الكتاب باليمين .

٣- إثبات أن الدنيا مزرعة الآخرة.

٤- النعيم العظيم في الجنة.

٥- الويل لمن أعطي كتابه بشماله.

٦- أن الكافر يوم القيامة يتمنى الموت، الذي كان يهرب منه في الدنيا.

٧- أن المال لا ينفع الإنسان يوم القيامة ولا ينجيه.

٨- شدة عذاب الكفار يوم القيامة، ومن شدته أنه يتمنى أنه لم يبعث مرة ثانية.

قوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ (٣٧) ﴾.

(خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠)) أي يأمر الزبانية أن تأخذه عنفاً من المحشر، فتغله أي فتضع الأعناق في عنقه ثم توردِه إلى جهنم فتطلبه إياها أي تغمره فيها.

(ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١)) أي اغمروه فيها.

(ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)) من سلاسل الجحيم في غاية الحرارة.

(فاسلكوه) أي أنظموه فيها، بأن تدخل في دبره وتخرج من فيه، ويعلق فيها، فلا يزال يعذب هذا العذاب الفظيع، فبئس العذاب والعقاب، ثم بيّن سبحانه وتعالى السبب الذي أوصله على هذا فقال:

(إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣)) بأن كان كافراً بربه، معانداً لرسله، راداً ما جاءوا به من الحق.

(وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤)) أي ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء والمساكين، فلا يطعمهم من ماله، ولا يحض غيره على إطعامهم لعدم الوازع في قلبه.

قال الشيخ السعدي: " وذلك لأن مدار السعادة ومادتها أمران: الإخلاص لله، الذي أصله الإيمان بالله، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه الإحسان، التي من أعظمها دفع ضرورة المحتاجين، بإطعامهم ما يتغوثون به، وهؤلاء لا إخلاص ولا إحسان، فلذلك استحقوا ما استحقوا ".

(فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا) أي يوم القيامة .

(حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾) أي ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله لا حميم، ولا قريب، ولا صديق، ولا شفيع. كما قال تعالى: ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾

(وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾) أي وليس له طعام إلا صديد أهل النار، الذي هو في غاية الحرارة والمرارة، ونتن الريح، وقبح الطعم.

(لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾) أي لا يأكل هذا الطعام الذميم: (إلا الخاطئون) الذين أخطأوا الصراط المستقيم، وسلكوا كل طريق يوصلهم إلى الجحيم، فلذلك استحقوا العذاب الأليم.

الفوائد:

١- شدة العذاب للكافر.

٢- عظم جريمة من منع الحقوق المالية من الزكاة وغيرها.

٣- طعام من طعام أهل النار، وهو الغسلين، ومن طعامهم:

أولاً: الضريع .

وهو شوك بأرض الحجاز يقال له الشبرق، وهذا الطعام الذي يأكله أهل النار لا يفيدهم، فلا يجدون له لذة ولا تنتفع به أجسادهم.

قال تعالى: ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع. لا يسمن ولا يغني من جوع ﴾ .

ثانياً: الزقوم.

وهي شجرة خبيثة تضرب جذورها في قعر النار، وثمر هذه الشجرة قبيح المنظر، ولذلك شبهه برؤوس الشياطين.

قال تعالى: ﴿ إن شجرة الزقوم. طعام الأثيم. كالمهل يغلي في البطون. كغلي الحميم﴾ .

وقد وصفها الله بآية أخرى: ﴿ أذلك خير أم شجرة الزقوم. إنا جعلناها فتنة للظالمين. إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم. طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ .

أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين.

وقد صور لنا الرسول ﷺ شناعة الزقوم فقال: (لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا، لأفسدت على أهل الأرض معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه) . رواه الترمذي

٤- أن من أسباب شدة العذاب:

عدم الإيمان بالله ـــ منع الزكاة والحقوق الواجبة .

قوله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢) ﴾ .

(فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لا تُبْصِرُونَ (٣٩)) أي فأقسم بالمشاهدات والمغيبات، أقسم بما ترونه وما لا ترونه، مما هو واقع تحت الأبصار، وما غاب وخفي عن الأنظار.

قال ابن كثير: "يقول تعالى مقسماً لخلقه بما يشاهدونه من آياته ومن مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم".

(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠)) إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة.

(رسول كريم) يعني محمداً، أضافه إليه على معنى التبليغ، لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل .

قال القرطبي: " والرسول ها هنا محمد ﷺ ، ونسب القول إليه لأنه تاليه ومبلغه عن الله تعالى".

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾أي وليس القرآن كلام شاعر كما تزعمون.

﴿ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ أي إن إيمانكم ضيق الدائرة، فلو كان واسعاً لاتسع للإيمان بالقرآن أنه كلام الله ووحيه، وليس هو من جنس الشعر لمخالفته له نظماً ومعنى.

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ﴾ أي وليس هو بقول كاهن يدعي معرفة الغيب، لأن القرآن يغاير بأسلوبه سجع الكهان.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ أي قلما تتذكرون وتتعظون.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي هو منزل من رب العزة جل وعلا، كقوله تعالى: ﴿ وإنه لتنزيل من رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين﴾.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ ﴾ أي محمد لو كان كما يزعمون مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة، ولهذا قال:

﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ﴾ فيها قولان:

قيل: معناه لانتقمنا منه باليمين، لأنها أشد في البطش.

وقيل: لأخذنا بيمينه.

﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ أي ثم لقطعنا نياط قلبه حتى يموت.

قال القرطبي: "والوتين عرق يتعلق به القلب، إذا انقطع مات صاحبه".

﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي فما يقدر أحد منكم أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا شيئاً من ذلك، والمعنى في هذا:

بل هو صادق بار راشد، لأن الله عز وجل مقرّر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له

بالمعجزات الباهرات، والدلالات القاطعات.

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ يعني القرآن، كما قال تعالى: ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾.

قال الشيخ السعدي: " يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم، فيعرفونها، ويعملون عليها بذكرهم العقائد الدينية والأخلاق المَرضية، والأحكام الشرعية، فيكونون من العلماء الربانيين، والعباد العارفين ، والأئمة المهديين".

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ أي مع هذا الوضوح والبيان سيوجد منكم من يكذب بالقرآن.

﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ اختلف العلماء:

قيل: أن القرآن لحسرة عليهم يوم القيامة إذا لم يؤمنوا به.

وقيل: أن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة.

﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ أي الخبر الصدق الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب.

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ أي نزه ربك العظيم عن السوء والنقائص.

والتسبيح: هو تنزيه الله عن العيوب والنقائص، وعن مشابهة المخلوقين.

الفوائـــد:

١- لله تعالى أن يحلف بما شاء من مخلوقاته لحكم عالية، وليس للعبد أن يحلف بغير الرب تعالى.

٢- إثبات نبوة محمد ﷺ .

٣- أن القرآن منزل من عند الله تعالى.

وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على أن القرآن منزل:

قال تعالى: ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ﴾.

وقال تعالى: ﴿ونزلناه تنزيلاً ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ .

وقال سبحانه: ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾.
وأجمع أهل السنة على أن القرآن منزل غير مخلوق .
٤- صدق الرسول ﷺ في رسالته.
٥- أن الأعداء دائماً يتهمون رسل الله بالشعر أو الجنون.
٦- أن الذي يستفيد من القرآن هو المتقي، كما قال تعالى: ﴿ هدىً للمتقين ﴾.
٧- شدة حسرة الكفار يوم القيامة، لتكذيبهم وعدم إيمانهم بالقرآن .
٨- أن القرآن حق اليقين.

قال ابن القيم: " ذكر الله في كتابه مراتب اليقين، وهي ثلاث: حق اليقين، وعلم اليقين ، وعين اليقين".

كما قال تعالى: ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين. لترون الجحيم. ثم لترونها عين اليقين ﴾ .

أولها: علمه، وهو التصديق التام به، بحيث لا يعرض له شك ولا شبهة تقدح في تصديقه، كعلم اليقين بالجنة مثلاً، وتيقنهم أنها دار المتقين ومقر المؤمنين.

المرتبة الثانية: عين اليقين ، وهي مرتبة الرؤية والمشاهدة، كما قال تعالى: ﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾ .

وفي المسند للإمام أحمد مرفوعاً: (ليس الخبر كالمعاينة) وهذه المرتبة هي التي سألها إبراهيم الخليل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ليحصل له مع علم اليقين عين اليقين، فكان سؤاله زيادة لنفسه، وطمأنينة لقلبه.

المرتبة الثالثة: مرتبة حق اليقين، وهي مباشرة الشيء بالإحساس به كما إذا أدخلوا الجنة وتمتعوا بما فيها، فهم في الدنيا في مرتبة علم اليقين، وفي الموقف حين تزلف وتقرب منهم حتى يعاينوها في مرتبة عين اليقين، وإذا دخلوا وباشروا نعيمها في مرتبة حق اليقين.

وقد ضرب بعض العلماء للمراتب الثلاثة مثلاً فقال: إذا قال لك من تجزم

بصدقه: عندي عسل أريد أن أطعمك منه فصدقته، كان ذلك علم اليقين، فإذا أحضر بين يديك صار ذلك عين اليقين، فإذا ذقته صار ذلك حق اليقين ".

٩- مشروعية تسبيح الله وتنزيهه عن النقائص.

١٠- إثبات اسم من أسماء الله وهو العظيم.

أولاً: معناه:

قال ابن الأثير: " هو الذي جاوز قدْره عز وجل حدود العقول، حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته ".

ثانياً: على المسلم أن يعظم الله حق تعظيمه.

ومن تعظيم الله: وصفه بما يليق به من الأوصاف والنعوت التي وصف بها نفسه، والإيمان بها وإثباتها.

ومن تعظيمه: الإكثار من ذكره في كل وقت وحين.

ومن تعظيمه: أن يطاع رسوله: ﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ .

ومن تعظيمه: أن لا يقدم على كلامه كلام أحد مهما كانت مكانته .

ثالثاً: أمر النبي ﷺ أن يسبح بهذا الاسم في الركوع، فقال ﷺ : (ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب ...) . رواه مسلم



سورة المعارج

قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ (١٨) ﴾ .

(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ) أي دعا داع من كفار مكة لنفسه ولقومه نزول عذاب واقع لا محالة .

كقوله تعالى: ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ﴾. أي عذابه واقع لا محالة.

عن ابن عباس في قوله: (سأل سائل) قال: " النضر بن الحارث ".

(وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ) أي مرصد معد للكافرين.

(لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢)) أي لا دافع له إذا أراد الله كونه.

(مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣)) المعارج الدرجات، واختلف في المراد بالدرجات:

فقيل: السموات التي تصعد فيها الملائكة إلى ربها. وقيل: وجوه الإنعام والإفضال على الخلق .

(تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ) أي تصعد الملائكة الأبرار . (الروح) أي جبريل الذي خصه الله بالوحي.

وهذا من باب الخاص بعد العام، فإن جبريل ملك من الملائكة، فهو داخل في قوله تعالى: ﴿ تعرج الملائكة ﴾ لكن خص وأعيد ذكره لبيان عظم منزلته وكريم مرتبته.

(فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤)) أي في يوم طوله هذه المدة. وقد اختلف في المراد بالآية:

فقيل: هو يوم القيامة.

عن ابن عباس قال: (هو يوم القيامة).

ويؤيد هذا القول قوله ﷺ : (ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم، فيجعل في صفائح ... حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) رواه مسلم

وقيل: المراد بذلك مسافة بين العرش العظيم إلى أسفل سافلين، وهو قرار الأرض السابعة وذلك مسافة خمسين ألف سنة.

والراجـــح الأول .

إشكال: كيف الجمع بين هذه الآية وبين الآية التي في السجدة: ﴿ في يوم كان مقداره ألف سنة ﴾ ؟

الجواب: قال بعض العلماء: إن هذا اليوم يختلف طوله على الكافر عن المؤمن، فيطوّل هذا اليوم على الكافر ويخفف على المؤمن، وكلاهما يوم القيامة، فهو كألف سنة، وهو خمسون ألف سنة أيضاً.

ومما يؤيد أن هذا اليوم يطول ويشق على الكافر ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ فذلك يومئذٍ يوم عسير. على الكافرين غير يسير ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ الملك يومئذٍ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً ﴾ .

وجاء حديث فيه ضعف رواه الإمام أحمد قال ﷺ : (والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا) .

وقال بعض العلماء: إن يوم الألف في سورة السجدة هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه، ويوم الخمسين ألفاً هو يوم القيامة.

(فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً (٥)) أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم بالعذاب استبعاداً لوقوعه.

(إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦)) أي وقوع العذاب، وقيام الساعة، يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع.

(وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧)) أي المؤمنون يعتقدون كونه قريباً، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عز وجل، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة.

(يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨)) أي تكون السماء كالرصاص المذاب من تشققها وبلوغ الهول منها مبلغ.

(وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩)) أي وتكون الجبال متناثرة متطايرة كالصوف المنفوش إذا طيرته الريح.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " فإذا كان هذا الانزعاج والقلق لهذه الأجرام الشديدة، فما ظنك بالعبد الضعيف، الذي قد أثقل ظهره بالذنوب والأوزار، أليس حقيقاً أن ينخلع قلبه ولبه، ويذهل عن كل أحد، ولهذا قال:

(وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠)) أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره، كما قال تعالى: ﴿ لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه ﴾.

(يُبَصَّرُونَهُمْ) أي يرونهم ويعرفونهم، حتى يرى الرجل أباه وأخاه وقرابته وعشيرته فلا يسأله ولا يكلمه.

قال ابن عباس: " يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض ".

(يَوَدُّ الْمُجْرِمُ) الذي حق عليه العذاب .

(لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾) أي يتمنى الكافر لو يفدي نفسه من عذاب الله، بأعز من كان عليه في الدنيا من ابن وزوجة وأخ (وصاحبته) أي زوجته.

(وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾) أي وفصيلته وعشيرته التي كانت تضمه إليها ، ويتكل في نوائبه عليها.

(وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾) أي ويجمع من في الأرض من البشر وغيرهم ثم ينجو من عذاب الله.

يعني تمنى لو كان هؤلاء جميعاً تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك ، وهيهات أن ينجيه.

ففي يوم القيامة لا ينفع أحد أحداً، ولا يشفع أحد إلا بإذن الله.

(كَلَّا) أي لا يقبل فيه فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال ولو بملء الأرض ذهباً، ولا قرابة تنفع، بل أمامه جهنم.

(إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾) تتلظى نيرانها وتلتهب.

(نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾) اختلف العلماء في المراد بها:

فقيل: أن الشوى الأطراف، كاليدين والرجلين، نزعها عن أماكنها. وقيل: جلدة الرأس.

(تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾) أي تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها، وقدر أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها، فتدعوهم يوم القيامة، وهم من أدبر عن طاعة الله وأعرض وتولى عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

(وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾) أي جمع المال بعضه على بعض فأوعاه فلم ينفق منه ما ينفعه ويدفع عنه النار.

قال الحسن البصري: " يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا، فالنار تدعو هؤلاء إلى نفسها ".

وهذا القول هو الصحيـــح أن الذي تدعو هي النار.

وقيل: أن الذي يدعو هم الملائكة خزنة النار. وقيل: أن المراد بتدعو تُهلك.

الفوائـــد :

١- أن الكفار دائماً يستعجلون وقوع العذاب، كما قال تعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾.

وقال تعالى: ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ﴾.

وقال تعالى: ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾.

وقال سبحانه: ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾.

٢- أن عذاب الله واقع لا محالة عنه ولا دافع له.

٣- إثبات علو الله سبحانه وتعالى، لقوله: ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ... ﴾.

٤- طول يوم القيامة وشدة أهواله.

٥- وجوب الصبر على البلاء، فلا تسخط ولا تجزع، والصبر له فضائل:

أولاً: أن الله تعالى علق الفلاح بالصبر والتقوى.

قـال تعالى: ﴿ يـا أيها الذين آمـنوا اصبـروا وصـابروا روابطوا واتقـوا الله لعلكم تفلحون ﴾.

ثانياً: أن الله يحب أهل الصبر.

قال تعالى: ﴿ والله يحب الصابرين ﴾.

ثالثاً: أن الله بشر الصابرين.

فقال تعـالى: ﴿ وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتـهم مصيبة قـالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾.

رابعاً: أن مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو.

قال تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ﴾.

خامساً: أوصى الله عباده بالاستعانة بالصبر.

فقال تعالى: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾.

سادساً: الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به إلا الصابرون.

قال تعالى: ﴿ إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ﴾.

سابعاً: أن الله مع الصابرين .

قال تعالى: ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾.

ثامناً: الإمامة في الدين تنال بالصبر واليقين.

قال تعالى: ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾.

٦- أنه في يوم القيامة لا ينفع لا قريب ولا صديق ولا أحد، قال تعالى: ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون ﴾.

وقال تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ﴾.

٧- شدة عذاب النار.

٨- أن من أسباب دخول النار: الإدبار عن طاعة الله والتولي عنها ـ وجمع المال وعدم إنفاق الواجب منه.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠)

فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة.

(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾) أي أن الإنسان جبل على الضجر، ولا يصبر على بلاء، ولا يشكر على نعماء.

قيل: المراد بالإنسان الكافر.

وقيل: عموم الإنسان.

وهذا هو الصحيح بدليل الاستثناء.

ثم فسر هذا الهلوع:

(إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾) أي إذا مسه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير، ولا يستعمل ذلك الصبر والرضى بما قضى الله.

(وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾) أي إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها عن غيره، ومنع حق الله تعالى فيها.

وقد جاء عند الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : (شر ما في الرجل: شح هالع، وجبن خالع).

(إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾) أي الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم، إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه وهم المصلون .

(الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾) اختلف في ذلك:

فقيل: معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها.

وقيل: المراد بالدوام هنا السكون والخشوع، كقوله تعالى:﴿ قد أفلح المؤمنون.

الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾.

ومنه الداء الدائم وهو الساكن الراكد.

ولا مانع من القولين.

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) ﴾ أي وفي أموالهم نصيب مقدر لذوي الحاجات.

﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) ﴾ السائل الذي يبتدئ السؤال، وأما المحروم فاختلف العلماء في المراد به:

فقيل: هو الذي لا يسأل الناس شيئاً.

وقيل: هو الذي لا مال له بأي سبب كان وقد ذهب ماله، سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها، واختاره ابن جرير.

﴿ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) ﴾ أي خائفون وجلون، فيتركون بذلك كل ما يقربهم من عذاب الله.

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) ﴾ أي لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) ﴾ أي يكفونها عن الحرام، ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه، كالزنا، واللواط، أو الوطء في الدبر، أو أثناء الحيض.

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ أي يقتصرون على ما أحل الله لهم من الزوجات المنكوحات، والرقيقات المملوكات.

﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) ﴾ أي فإنهم غير مؤاخذين، لأن وضع الشهوة فيما أباح الله من الزوجات والمملوكات حلال يؤجر عليه الإنسان لما فيه من تكثير النسل والذرية.

﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ ﴾ أي فمن طلب لقضاء شهوته غير الزوجات والمملوكات.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) ﴾ فقد تعدى الله وعرّض نفسه لعذاب الله.

(وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾) أي إذا أؤتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين، كما ورد في الحديث: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)

(وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾) أي محافظون عليها، لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها، ولا يكتمونها.

(وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾) أي على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها.

(أُولَٰئِكَ) أي الموصوفين بتلك الصفات.

(فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾) أي مكرمون بأنواع الملاذ والمسار.

الفوائد:

١- بيان شرّ صفات الإنسان، وهو الهلع.

٢- بيان علاج الهلع، وهو المحافظة على الصلاة وما بعدها من الصفات.

٣- فضل الخوف من الله ومن عذابه.

كما قال تعالى: (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) .

وقال تعالى: ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ . [انظر فضائل الخوف في سورة النازعات].

٤- تحريم الاستمناء ، لقوله تعالى : ﴿... فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى تحريمه.

فقد احتج الإمام الشافعي بهذه الآية على تحريم الاستمناء.

٥- وجوب أداء الشهادة كما هي من غير زيادة ولا نقص ولا كتمان.

كما قال تعالى: ﴿ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾.

٦- الحرص على تطبيق هذه الصفات، فمن طبقها وواظب عليها كان من أهل الجنة .

قوله تعالى: ﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤) ﴾ .

يقول تعالى منكراً على الكفار الذين كانوا في زمن النبي ﷺ وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيده الله به من المعجزات الباهرات، ثم هم مع هذا كله فارون منه متفرقون عنه، شاردون يميناً وشمالاً فرقاً فرقاً وشيعاً شيعاً، فقال سبحانه:

(فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦)) أي فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد مهطعين، أي مسرعين نافرين منك.

(عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧)) واحدها عزة، أي متفرقين، أي في حال تفرقهم واختلافهم .

(أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨)) أي : أيطمع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن الرسول ﷺ ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم.

(كَلاَّ) بل مأواهم جهنم.

ثم قال تعالى مقرراً لوقوع المعاد والعذاب فيهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلاً عليهم بالبداءة التي الإعادة أهون منها، فقال سبحانه وتعالى:

(إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩)) أي من المني الضعيف، كما قال تعالى: (ألم نخلقكم من ماء مهين) وقال سبحانه:

(فلينظر الإنسان مما خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب).

(فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) أي الذي خلق السموات والأرض وجعل مشرقاً ومغرباً وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها، وتقرير الكلام: ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور، بل كل ذلك واقع لا محالة.

(إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ) في المراد بالتبديل قولان:

قيل: أي يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه، ورجحه ابن كثير.

كقوله تعالى: ﴿ نحن قدرنا بينكم الموتى وما نحن بمسبوقين. على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون ﴾.

وقيل: نبدل خيراً منهم أمة تطيعنا ولا تعصينا، ورجح هذا القول ابن جرير.

كقوله تعالى: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾.

(وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١)) أي بعاجزين.

قال الشيخ السعدي: " أي ما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نعيده ".

(فَذَرْهُمْ) أي يا محمد .

(يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا) أي دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم.

(حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢)) أي حتى يلاقوا ذلك اليوم العصيب الرهيب، فإن الله قد أعد لهم فيه من النكال والوبال، ما هو عاقبة خوضهم ولعبهم.

(يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ) أي يوم يخرجون ويوقفون من القبور.

(سِرَاعًا) أي ينهضون مسرعين مجيبين لدعوة الداعي.

(كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣)) أي كأنهم إلى علم يؤمون ويقصدون، فلا يتمكنون من الاستعصاء على الداعي.

وقيل: كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه، يوفضون يتدرون أيهم يستلمه أول.

(خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) أي خاضعة منكسرة .

(تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) أي يغشاهم الذل والهوان من كل مكان، في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة.

(ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾) أي هذا اليوم الذي وعدوا به في الدنيا وكانوا يهزءون ويكذبون، فاليوم يرون عقابهم وجزاهم.

الفوائد:

١- بيان الحال التي كان عليها الرسول ﷺ في مكة بين ظهراني قريش، وما كان يلاقي من أذاهم.

٢- أن الجنة تُدخل بالطهارة من الشرك والمعاصي.

٣- أن المشرك لا يدخل الجنة .

٤- أن الإنسان مخلوق من المني القذر لا فرق بينهم، والفرق بينهم بالإيمان والعمل الصالح.

٥- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٦- أن الله عز وجل غني عن العالمين.

٧- تهديد الكفار في عذاب الله يوم القيامة.

٨- الذل والصغار والهوان سينزل بالكفار يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾.

سورة نوح

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) ﴾.

(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ) يقول تعالى مخبراً عن نوح أنه أرسله إلى قومه.

(أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١)) أي بأن خوف قومك وحذرهم إن لم يؤمنوا من عذاب شديد مؤلم، فامتثل نوح لذلك وابتدر لأمر الله فقال:

(قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢)) أي واضح النذارة بينُها.

(أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣)) أي فقال لهم: اعبدوا الله وحده، واتركوا محارمه، واجتنبوا مآثمه، وأطيعوني فيما أمرتكم به من طاعة الله، وترك عبادة الأوثان والأصنام.

(يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ) أي إذا فعلتم ما آمركم به، وصدقتم ما أرسلت به إليكم، غفر الله لكم ذنوبكم.

واختلف في معنى (من):

قيل: أنها بمعنى (عن) تقديره: يصفح لكم عن ذنوبكم، واختاره ابن جرير.

وقيل: أنها تبعيضية، أي يغفر لكم الذنوب العظيمة التي وعدكم على ارتكابكم إياها الانتقام.

(وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) أي يمتعكم في هذه الدار ويدفع عنكم الهلاك إلى أجل مسمى، أي مقدر البقاء في الدنيا بقضاء الله وقدره، إلى وقت محدود، وليس

المتاع أبداً، فإن الموت لا بد منه، ولهذا قال:

(إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ) أي إن عمر الإنسان عند الله محدود، لا يزيد ولا ينقص.

اختلف في المراد بأجل الله:

فقيل: الأجل الذي قدره الله لهم في الدنيا وهو الموت. وقيل: البعث. وقيل: نزول البعث .

(لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤)) أي لو كنتم تعلمون ذلك لسارعتم إلى الإيمان.

فائدة: نسب الأجل إلى الله تعالى لأنه الذي قدره وأثبته.

وقد ينسب الأجل إلى القوم، كما قال تعالى: ﴿ فإذا جاء أجلهم ﴾ لأنه مضروب لهم محدد.

الفوائـــد:

١- أن نوحاً رسول من الله.

كما قال تعالى: ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ .

وهو أول رسول بعثه الله.

ففي حديث الشفاعة الطويل: (... أنت أول رسول أرسله الله ...) .

٢- بيان الحكمة من إرسال الرسل، وهي:

أولاً: الرحمة.

كما قال تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

ثانياً: التبشير والإنذار .

كما قال تعالى: ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين ﴾ .

٣- رحمة الله بالناس بإرسال الرسل.

٤- أن الله لا يعذب قوماً حتى يرسل لهم رسولاً لإقامة الحجة، كما قال تعالى: ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ .

٥- أن الله أرسل لكل قوم رسول.

كما قال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ...﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ .

٦- أن دعوة الرسول واضحة بينة لا لبس فيها.

٧- أن دعوة الرسل كلهم عبادة الله واجتناب الشرك.

كما قال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

٨- أن طاعة الرسول سبب لمغفرة الذنوب.

٩- أن الموت له وقت محدد لا يتقدم ولا يتأخر.

كما قال تعالى: ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا (٢٠) ﴾ .

يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح (أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقي من قومه، وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي قضاها فيهم، فقال:

(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥)) أي لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار امتثالاً لأمرك وابتغاء مرضاتك .

(فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا(٦)) أي كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فرّوا منه وحادوا عنه.

(وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ) أي كلما دعوتهم إلى الإقرار بوحدانية الله والعمل بطاعته ليكون سبباً في مغفرة ذنوبهم:

(جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا دعوتي.

(وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) أي غطوا رؤوسهم ووجوههم بثيابهم لئلا يسمعوا كلامي.

(وَأَصَرُّوا) أي استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع.

(وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧)) واستكبروا عن الحق، وشرهم ازداد، وخيرهم بَعُد.

(ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨)) أي جهرة بين الناس.

(ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ) أي كلاماً ظاهراً بصوت عال.

(وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩)) أي فيما بيني وبينهم.

ومقصود هذا الكلام:

أنه نوّع في دعوتهم لتكون أنجع فيهم.

وكل هذا من نوح حرص ونصح وإتيانهم بكل طريق يظن به حصول المقصود.

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) أي ارجعوا إليه، واتركوا ما أنتم عليه من الذنوب، واستغفروا الله.

(إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)) كثير المغفرة لمن تاب واستغفر.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " فرغبهم بمغفرة الذنوب وما يترتب عليه من الثواب واندفاع العقاب ".

ورغبهم أيضاً بخير الدنيا العاجل، فقال:

(يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١)) أي مطراً متتابعاً، يروي الشعاب والوهاد،

ويحيي البلاد والعباد .

قال ابن كثير: "ولهذا يستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية، وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار، ومنها: هذه الآية، ثم قال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ".

(وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، أعطاكم الأموال التي تدركون بها ما تطلبون من الدنيا وإعطائكم الأولاد.

(وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢)) أي ويجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية فيها.

هذا مقام الدعوة بالترغيب.

ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب، فقال:

(مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣)) أي ما لكم لا تخافون لله عظمته وكبرياءه وهو القاهر فوق عباده.

(وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)) أي خلقاً من بعد خلق، في بطن الأم، ثم في الرضاع، ثم في سن الطفولة، ثم التمييز، ثم الشباب، ثم إلى آخر ما يصل إليه الخلق.

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: " وفي ذكر ابتداء خلقهم تنبيه لهم على المعاد، وأن الذي أنشأهم من العدم قادر على أن يعيدهم بعد موتهم ".

(أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥)) ألم تشاهدوا يا معشر القوم عظمة الله وقدرته، وتنظروا نظر اعتبار وتفكر وتدبر، كيف أن الله العظيم الجليل خلق سبع سموات سماء فوق سماء، متطابقة فوق بعض، وهي في غاية الإبداع والإتقان .

(وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) أي وجعل القمر في السموات السبع نوراً.

(وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)) أي وجعل الشمس مصباحاً مضيئاً يستضيء به أهل

الدنيا كما يستضيء الناس بالسراج في بيوتهم.

وعبر عن الشمس بالسراج لأنه يضيء بنفسه .

(وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (١٧)) أي حين خلق أباكم آدم وأنتم في صلبه.

(ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا) أي يرجعكم إلى الأرض بعد موتكم فتدفنون فيها.

(وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨)) أي يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة.

(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا (١٩)) أي بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات.

(لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا (٢٠)) أي خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها.

قال ابن كثير: "وكل هذا مما ينبههم به نوح على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرازق جعل السماء بناءً، والأرض مهاداً وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحّد ولا يشرك به أحد لأنه لا نظير له ولا عديل ولا ند ولا كفء، ولا صاحبة ولا ولد، ولا وزير ولا مشير، بل هو العلي الكبير".

الفوائد:

١- حرص نوح على دعوة قومه، ومحل ذلك في أمور:

أولاً: أنه اجتهد في دعوتهم في كل وقت وزمان.

ثانياً: أنه نوّع في دعوتهم مرة جهاراً ومرة سراً.

ثالثاً: استعمل معهم أسلوب الترغيب، ثم استعمل معهم أسلوب الترهيب.

٢- ينبغي للداعية أن يقتدي بالأنبياء في صبرهم ودعوتهم وتحملهم الأذى.

٣- ينبغي الاستفادة من قصص الأنبياء في أسلوب الدعوة.

٤- شدة عناد وكفر الكفار حتى أنهم يجعلون أصابعهم في آذانهم لكي لا يسمعوا الحق.

٥- أن الاستغفار سبب لجلب الأرزاق. ومما يدل لذلك أيضاً:

ـ قوله تعالى: ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله ﴾.

ـ وقال نبي الله هود: (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم) .

٦- استعمال الحكمة في الدعوة، فإن نوحاً لما رأى أن قومه يحبون الدنيا أرشدهم إلى الاستغفار ليحصل لهم المال والولد.

٧- استنبط بعض العلماء من هذه الآية أن من كانت له رغبة في مال أو ولد فليكثر من الاستغفار.

٨- وجوب تعظيم الله، ومن تعظيم الله طاعته وعبادته وعدم الإشراك معه.

٩- أن من أشرك مع الله آلهة أخرى لم يعظم الله حق تعظيمه.

١٠- أن السموات سبع.

١١- عظم نعمة الله علينا، وقد ذكر الله منها في هذه الآية:

السموات ـ القمر ـ نور الشمس ـ جعل الأرض بساطاً.

١٢- أن الموت لا بد منه ولا مفر منه.

١٣- تقرير عقيدة البعث.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ

إِلاَّ تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

(قَالَ نُوحٌ) شاكياً لربه: أن هذا الكلام والوعظ والتذكير ما نجع فيهم ولا أفاد.

(رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي) أي لم يطيعوني فيما دعوتهم إليه وأمرتهم به من عبادتك وحدك وترك الشرك بك.

(وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ﴿٢١﴾) أي واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ومُتِّع بمال وأولاد، وهي في نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام.

(وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾) أي مكراً عظيماً في معاندة الحق.

(وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ) أي لا تتركوا عبادة الأوثان والأصنام وتعبدون ربّ نوح.

(وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾) أي لا تتركوا على وجه الخصوص هذه الأصنام الخمسة: وداً، وسواعاً، ويغوث، ويعوق، ونسراً.

وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله.

عن ابن عباس قال: (هي أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت) . رواه البخاري

(وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا) يعني الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقاً كثيراً، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم.

وقد قال الخليل عليه السلام : (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) .

(وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً ﴿٢٤﴾) دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملته في قوله: ﴿ ربنا اطمس على أموالهم واشدد

على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ .

(مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا) أي بسبب إجرامهم وكفرهم وإصرارهم على ذلك أغرقوا بالطوفان، ثم نقلت الأرواح إلى النار، قال تعالى: ﴿ فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴾ .

(فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا (٢٥)) أي لم يكن لهم معين ولا مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله.

(وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦)) أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً.

قال بعض العلماء: (ديار) هي الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما في الدار ديار، أي ما فيها أحد.

ثم بين السبب فقال:

(إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ) أي أنك إذا أبقيت منهم أحداً أضلوا عبادك، أي الذين تخلقهم بعدهم.

(وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧)) أي فاجراً في الأعمال كافر القلب، وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً.

(رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا) خص هؤلاء المذكورين لتأكد حقهم وتقديم برهم.

وقد اختلف في المراد بقوله: (بيتي) :

فقيل: يعني مسجدي.

وقيل: بيته المعروف .

قال ابن كثير: " ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها، وهو أنه دعا لكل من

دخل منزله وهو مؤمن ".

(وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) ثم عمّم الدعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات، وذلك يعم الأحياء منهم والأموات.

(وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا (٢٨)) أي ولا تزد يا رب من جحد بآياتك وكذب رسلك إلا هلاكاً وخساراً في الدنيا والآخرة.

الفوائد:

١- شدة كفر وعناد قوم نوح.

٢- أن عبادة الأصنام سبب في ضلال كثير من الناس.

كما قال تعالى : (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام. ربِّ إنهنّ أضللن كثيراً من الناس) .

٣- يجب على الإنسان أن يخاف من الشرك، لأن كثيراً من الناس وقعوا فيه.

٤- أن سبب هلاك قوم نوح هو خطيئتهم وكفرهم.

٥- أن سبب هلاك الأمم هو الكفر والعصيان.

٦- أن الله عذب قوم نوح بالغرق.

كما قال تعالى: (فأخذهم الطوفان وهم ظالمون).

وقال تعالى: (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين) .

وقال تعالى: (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) .

وقد تنوعت كيفية هلاك الأمم، فبعضهم بالغرق، وبعضهم بالخسف، وبعضهم بالصيحة.

كما قال تعالى: ﴿ فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ .

٧- استجاب الله دعاء نوح على قومه.

فإن قال قائل: لماذا دعا نوح على قومه ؟

الجواب: دعا عليهم لأمرين:

الأول: قوله تعالى: ﴿ وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴾.

الثاني: أن هؤلاء القوم سيضلون غيرهم، كما قال نوح: ﴿ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ .

٨- شدة عذاب الله إذا وقع.

٩- أن عذاب الله إذا وقع لا مفرّ منه ولا نجاة.

١٠- مشروعية الدعاء على الكفرة الظالمين.

١١- مشروعية أن يبدأ الداعي بنفسه.

وقد كان النبي ﷺ إذا دعا بدأ بنفسه.

١٢- أن والديّ نوح أسلما معه.



سـورة الجن

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) ﴾.

(قُلْ) يا محمد للناس.

(أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ) أن ربي أوحى إلي أن جماعة من الجنّ استمعوا لتلاوتي للقرآن، فآمنوا به وصدقوه وأسلموا.

(فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١)) أي فقالت الجنّ لقومهم حين رجعوا إليهم، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين. قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ﴾.

وسبب نزول هذه الآية:

ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال: (ما قرأ رسول الله ﷺ على الجنّ وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسِلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشهب، قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمرّ النفر الذين أخذوا نحو تهامة ـ وهو بنخل، عامدين

إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ـ فلما سمعوا القرآن استمعوا له، وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا ! إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً، فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ : ﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن ﴾) .

والغرض من الإخبار عن استماع الجن توبيخ وتقريع قريش والعرب في كونهم تباطأوا عن الإيمان، إذ كانت الجنّ خيراً منهم وأسرع إلى الإيمان، فإنهم من حين ما سمعوا القرآن استعظموه وآمنوا به ورجعوا إلى قومهم منذرين.

(يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ) أي إلى السداد والنجاح .

(وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾) أي ولن نعود إلى ما كنا عليه من الشرك.

قال الشيخ السعدي رحمه الله : " وجعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه، ما علموه من إرشادات القرآن، وما اشتمل عليه من المصالح والفوائد واجتناب المضار، ... وهذا هو الإيمان النافع المثمر لكل خير، المبني على هداية القرآن، بخلاف إيمان العوائد والمَرْبَى والإلف ونحو ذلك، فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشبهات والعوارض الكثيرة ".

(وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا) أي تعالت عظمته وتعالى مقامه عن اتخاذ الزوجة والولد، فإن اتخاذ الصاحبة يكون للاستئناس بها ولإشباع شهوته ورغبته، وكل ذلك غير موجود في حق الله سبحانه، فهو العزيز الواحد الأحد الفرد الصمد.

(مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾) أي قالت الجن: تنزه الرب جل جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ الصاحبة والولد.

(وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾) هذا من قول الجن، أي وأن الجاهل فينا كان ينسب إلى الله ما لا يليق بجلاله وعظمته، ويقول قولاً شططاً أي باطلاً وزوراً.

وقيل: المراد بالسفيه إبليس.

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ أي ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالئون على الكذب على الله تعالى في نسبة الصاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به، علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك.

قال الطبري: "إنما أنكر هؤلاء النفر من الجن أن يكون علمت أن أحداً يجترئ الكذب على الله لما سمعت القرآن، لأنهم قبل أن يسمعوه، وقبل أن يعلموا تكذيب الله للزاعمين لله الصاحبة والولد كانوا يحسبون أن إبليس صادق، فلما سمعوا القرآن أيقنوا أنه كان كاذباً في ذلك فسموه سفيهاً".

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ أي كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس، لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها، كما كانت عادة العرب في جاهليتهم يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسؤهم، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً وخوفاً وذعراً:

(فزادوهم) : أي الجن، زاد الإنس خوفاً وذعراً، فلما خاف الإنس من الجن تكبرت الجن.

وقيل: العكس، أن الإنس زادوا الجن رهقاً أي استكباراً وعتواً.

والأول أصح، ولا مانع من المعنيين.

﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ ﴾ أي وقالت الجن لقومهم: أن كفار الإنس ظنوا كما ظننتم يا معشر الجن، أن الله لن يبعث أحد بعد الموت، فقد أنكروا البعث كما أنكرتموه أنتم.

فهذا الكلام من كلام الجن لقومهم، واختاره الطبري.

وقيل: أنه من الوحي الذي أوحاه الله لرسوله، وأن المعنى: وأن الجن كانوا ينكرون البعث كإنكاركم يا معشر قريش، فلما سمعوا القرآن اهتدوا، فهلا اهتديتم؟

الفوائـد:

١- أن محمد ﷺ رسول من رسل الله.

٢- أن نبينا محمد ﷺ مبعوث إلى الثقلين (الإنس والجن) .

ـ قال تعالى: ﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً ﴾ .

ـ وقال تعالى: ﴿ وإذ صرفنا إليك نفر من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين ﴾.

ـ ويدل لذلك أيضاً تحدي القرآن الجن والإنس: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾.

٣- أن الجن موجودين، ووجودهم ثابت بالكتاب والسنة.

ـ قال تعالى: ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ﴾ .

ـ وقال تعالى: ﴿ وإذ صرفنا إليك نفر من الجن ﴾ .

ـ وقال تعالى: ﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ .

وأما الأحاديث:

ـ عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يدعو (... أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون).

ـ وقال ﷺ : (... فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن إنس ولا جن إلا شهد له يوم القيامة) . رواه البخاري

ـ وقال ﷺ : (إن عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة ...) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل محمداً إليهم ".

٤- عظمة هذا القرآن وعلو شأنه، حيث شهدت الجن بأنه عجب فوق مستوى كلام الخلق.

٥- أن القرآن يهدي إلى كل ما هو خير في الدنيا والآخرة.

كما قال تعالى: ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ .

٦- أن من شروط الإيمان عدم الشرك.

وقد قال ﷺ : (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله فقد عصم دمه وماله وحسابه على الله) .

٧- تنزيه الله عن الصاحبة والولد.

٨- أن الإنس والجن يكذبون على الله، حيث ينسبون إليه الولد والصاحبة.

٩- أن من يدعي أن لله ولداً أو صاحبة فهو سفيه.

لأنه لو كان عاقلاً رزيناً لعرف ما يقـول، وعرف أن الله العلي العظيم مستغنٍ عن كل أحد.

١٠- تحريم الاستعاذة بغير الله كالجن، وأنه من الشرك.

١١- أن من خاف وخشي غير الله زاد خوفه وذعره، لأنه تعلق بغير الله.

وقد قال ﷺ : (من تعلق شيئاً وكل إليه) .

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ .

(وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾) يخبر تعالى عن الجن

حين بعث الله رسوله محمد (وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئاً من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه ورحمته وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قال:

(وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨)) أي طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها، فوجدناها قد ملئت بالملائكة الكثيرين الذين يحرسونها، وبالشهب المحرقة التي تقذف من يحاول الاقتراب منها.

(وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ) أي وكنا قبل بعثة محمد نقعد من السماء مقاعد معينة لهم، لنستمع إلى أخبارها ونلقيها إلى الكهان.

(فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩)) أي من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهاباً مرصداً له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه.

وهذا له شأن عظيم، ونبأ جسيم، وجزموا أن الله تعالى أراد أن يحدث في الأرض حدثاً كبيراً، من خير أو شر، فلهذا قالوا:

(وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠)) أي ما ندري هذا الأمر الذي حدث في السماء، لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً.

قال ابن كثير: " وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله عز وجل ".

(وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) يقول تعالى مخبراً أنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم: ﴿وأنا منّا الصالحون﴾ أي منّا قوم صالحون أبرار عاملون بما يرضي الله ﴿ومنّا دون ذلك﴾ أي ليس صلحاء.

(كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١)) أي طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة كل حزب بما

لديهم فرحون.

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) ﴾ أي نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا، وأنا لا نعجزه في الأرض، ولو أمعنَّا في الهرب، فإنه علينا قادر ولا يعجزه أحد منّا.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " أي: وأنا في وقتنا الآن تبين لنا كمال قدرة الله، وكمال عجزنا، وأن نواصينا بيد الله فلن نعجزه في الأرض، ولن نعجزه إن هربنا، وسعينا بأسباب الفرار والخروج عن قدرته، لا ملجأ منه إلا إليه ".

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ﴾ أي لما سمعنا القرآن العظيم الهادي إلى الصراط المستقيم آمنّا به.

ثم ذكروا ما يرغب المؤمن، فقالوا:

﴿ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا (١٣) ﴾ أي فمن آمن به إيماناً صادقاً (فلا يخاف بخساً)، أي فلا يخاف أن ينقص من حسناته (ولا رهقاً) ولا يحمل عليه غير سيئاته.

(لأن البخس: النقصان، والرهق: العدوان).

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ ﴾ أي وأنا بعد سماعنا القرآن منّا من أسلم

﴿ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ أي الجائرون عن الحق.

(بخلاف المقسط فإنه العادل، كما قال تعالى: ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المقسطين ﴾).

﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) ﴾ أي فمن اعتنق الإسلام واتبع الرسول، فأولئك الذين قصدوا الرشد واهتدوا إلى طريق النجاة والجنة.

﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) ﴾ أي وأما الكافرون الجائرون عن طريق الحق والإيمان فسيكونون وقوداً لجهنم تسعر بهم، وذلك جزاء على أعمالهم، لا ظلم من الله لهم.

الفوائـــد:

١- شدة عناية الله عز وجل برسالة نبيه محمد ﷺ ، حيث لم يتمكن الجن من الاستراق.

٢- كثرة الملائكة وقوتهم، حيث كانوا يحرسون السماء.

٣- الأدب مع الله في الكلام، حيث أضافوا الخير إلى الله، والشر حذفوا فاعله تأدباً. ومن أمثلة الأدب مع الله:

ـ قول إبراهيم: ﴿ الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ ولم يقل: وإذا أمرضني، حفظاً للأدب مع الله.

ـ وقول موسى: ﴿ ربّ لما أنزلت إلي من خير فقير ﴾ . ولم يقل: أطعمني.

ـ وقال ﷺ : (والشر ليس إليك) . رواه مسلم

ـ ومن هذا أمر النبي ﷺ الرجل أن يستر عورته وإن كان خالياً لا يراه أحد، أدباً مع الله.

٤- أن الجن منهم المؤمن ومنهم الكافر ومنهم بين ذلك.

٥- أن الجني المؤمن يدخل الجنة.

وهذا مذهب جماهير العلماء ، ويدل لذلك:

ـ عموم قوله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ﴾ .

ـ وقال تعالى: ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ .

ـ وقال تعالى: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ .

٦- أن الجني الكافر يدخل النار، وهذا بالإجماع .

ـ قال تعالى: ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾ .

ـ وقال تعالى: ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ .

٧- ذم الاختلاف والبطر والأهواء.

٨- لا أحد يستطيع أن يهرب من الله.

٩- فضل الإيمان بالله.

١٠- تنزيه الله عن الظلم، لكمال عدله.

١١- أن من آمن بالله فلا ينقص حقه ولا يظلم.

١٢- أن جهنم اسم من أسماء النار، وسميت بذلك:

قيل: لبعد قعرها. وقيل: لغلظ أمرها.

١٣- أن الكفار هم وقود النار، ووقود النار:

الأحجار ـ الكفار ـ الآلهة التي تعبد من دون الله.

ـ قال تعالى: ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ﴾.

ـ وقال تعالى: ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) ﴾ .

(وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) اختلف العلماء في المراد بالطريقة: على قولين:

فقيل: لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام، وعدلوا إليها، واستمروا عليها

﴿ لأسقيناهم ماءً غدقاً. لنفتنهم فيه ﴾ أي كثيراً، والمراد بذلك سعة الرزق، ومما يدل لهذا القول:

قوله تعالى: ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ .

وعلى هذا يكون معنى ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ أي لنختبرهم.

وقيل: ﴿ وألو استقاموا على الطريقة ﴾ طريقة الضلال والكفر ﴿ لأسقيناهم ماءً غدقاً ﴾ أي لأوسعنا عليهم الرزق استدراجاً، ومما يدل لهذا القول:

قوله تعالى: ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾.

(وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧)) أي من أعرض عن ذكر الله الذي هو كتابه، فلم يتبعه، وينْقَد له، بل غفل عنه ولهى، ﴿ يسلكه عذاباً صعداً ﴾ أي شديداً موجعاً مؤلماً لا راحة معها.

(وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩)) اختلف في معنى الآية:

فقيل: تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه.

قال ابن كثير: " وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وهو اختيار ابن جرير، وهو الأظهر، لقوله بعده: (قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً) أي قال لهم الرسول ﷺ لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته ".

وقد روى الطبري بإسناد صحيح عن الحسن أنه قال: ((وإنه لما قام عبد الله يدعوه (قال: لما قام رسول الله ﷺ يقول: لا إله إلا الله، ويدعو الناس إلى ربهم، كادت العرب تكون عليه جميعاً).

وقيل: أن الذين كادوا يكونون عليه لبداً هم الجن، كادوا يكونون على رسول

الله ﷺ لبداً، أي جماعات يركب بعضهم بعضاً من شدة الزحام على رسول الله ﷺ للاستماع منه حين يقرأ القرآن.

(قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠)) أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار مبيناً لهم حقيقة دعوتك: إنما أوحد ربي وحده، ولا أشرك معه لا صنماً ولا بشراً.

(قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١)) أي إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ، وعبد من عباد الله ليس لي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل.

(قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ) أي قل لهم أيضاً: إنه لن ينقذني من عذاب الله أحد إن عصيته.

(وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢)) أي لا أجد ملجأً ولا نصيراً.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "وإذا كان الرسول ﷺ الذي هو أكمل الخلق، لا يملك ضراً ولا رشداً، ولا يمنع نفسه من الله شيئاً إن أراده بسوء، فغيره من الخلق من باب أولى وأحرى".

(إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ) فيهما قولان:

قيل: مستثنى من قوله:﴿ قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ﴾ ويكون المعنى:

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل لمشركي العرب: إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ﴿ إلا بلاغاً من الله ورسالاته ﴾ يقول: إلا أن أبلغكم من الله ما أمرني بتبليغكم إياه، وإلا رسالاته التي أرسلني بها إليكم، فأما الرشد والخذلان فبيد الله، هو مالكه دون سائر خلقه، يهدي من يشاء ويخذل من أراد.

وقيل: مستثنى من قوله ﴿ قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً ﴾ ويكون المعنى:

قل إني لا يجيرني منه ويخلصني إلا بلاغي الرسالة التي أوجب أداءها عليّ، كما قال تعالى: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما

بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾.

(وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣)) أي أنا أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبداً، أي لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها.

(حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ) أي حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة.

(فَسَيَعْلَمُونَ) في ذلك الوقت حقيقة المعرفة.

(مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤)) سيعلم المشركون من هم أضعف ناصراً ومعيناً، وأقل نفراً وحيداً ؟ هل هم أم المؤمنون الموحدون ؟ ولا شك أن الله ناصر عباده المؤمنين، فهم الأقوى ناصراً والأكثر عدداً، لأن الله معهم وملائكته الأبرار.

الفوائـد:

١- أن طاعة رسوله سبب للرزق ورغد العيش .

كما قال تعالى: ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم. ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ .

وقال نوح: ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً. يرسل السماء عليكم مدراراً. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾ .

٢- أن من أعرض عن الإيمان فإن له عذاباً شديداً موجعاً.

٣- تحريم دعاء غيره في المساجد وغيرها، لكن في المساجد أعظم.

٤- تحريم السجود لغير الله.

٥- فضل رسول الله ﷺ لكونه عبداً لله، ولا شك أن العبودية لله من أشرف

المناقب، بل هي أشرف المناقب.

وقد ذكر الله وصف نبيه ﷺ بالعبودية في أعلى المقامات:

أولاً: في مقام التحدي.

قال تعالى: ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا... ﴾.

ثانياً: في مقام الإسراء.

كما قال تعالى: ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً... ﴾.

ثالثاً: في حال إنزال القرآن.

كما قال تعالى: ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾.

رابعاً: في مقام الدعوة إلى الله.

قال تعالى: ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً ﴾.

٦- وجوب عبادة الله وحده من غير إشراك.

قال تعالى: ﴿ قل تعالوا أتلو ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ﴾.

وقال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾.

٧- أنه لا يمكن أن تكون عبداً لله إلا مع عدم الشرك.

٨- أن النبي ﷺ لا يملك شيء من حقوق الربوبية، فليس بيده ضر ولا نفع.

٩- أنه إذا كان النبي ﷺ لا يملك شيئاً من ذلك، فغيره من باب أولى.

١٠- أن معصية الله ورسوله من أسباب دخول النار والخلود فيها.

١١- أن النار باقية لا تفنى، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة.

وقد ورد ثلاث آيات في القرآن الكريم فيها تأبيد النار:

ـ قال تعالى: ﴿ ولا ليهديهم طريقاً . إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً ﴾ . [النساء].

ـ قال تعالى: ﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً. خالدين فيها أبداً ﴾ . [الأحزاب].

ـ وهذه الآية: ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً ﴾ . [الجن].

ومن الأدلة:

قوله تعالى: ﴿ إن المجرمين في نار جهنم خالدون. لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون﴾ .

١٢- تهديد الكفار بالعذاب الأليم في يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) ﴾.

(قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ) يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول للناس أنه لا علم له بوقت الساعة ولا يدري أقريب وقتها أم بعيد.

(أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥)) أي مدة طويلة.

(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦)) أي هو جل وعلا عالم بما غاب عن الأبصار، وخفي عن الأنظار ، فلا يطلع على غيبه أحداً من خلقه.

(إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ) أي إلا من اختاره الله وارتضاه لرسالته بنبوته، فيظهره على من يشاء من الغيب، فإنه يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به.

وذلك أن الرسل ليسوا كغيرهم، فإن الله أيدهم بتأييد ما أيده أحداً من الخلق، وحفظ ما أوحاه إليهم حتى يبلغوه على حقيقته، من غير أن تقربه الشياطين، فيزيدوا

فيه أو ينقصوا، ولهذا قال:

(فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧)) أي فإنه تعالى يرسل من أمامه ومن خلفه حرساً وحفظة يحفظونه من الجن.

(لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ) اختلف في معناها، وأرجح الأقوال أن المعنى:

ليعلم - أي الرسول - أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم ورجحه ابن جرير.

(وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ) أي أحاط علمه بما عند الرسل، فلا يخفى عليه شيء من أمورهم.

(وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)) أي عليم تعالى علم ضبط واستقصاء جميع الأشياء، فلا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه أمر.

الفوائـد:

١- أن الرسول لا يدري متى وقت الساعة.

- قال تعالى: ﴿ قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً ﴾ .

- وقال تعالى: ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾.

- وقال تعالى: ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها. فيم أنت من ذكراها. إلى ربك منتهاها ﴾ .

- وقال تعالى: ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ﴾.

- وقال رسول الله ﷺ وقد سأله جبريل عن الساعة: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) . رواه مسلم

٢- استئثار الله بعلم الغيب ، فلا يعلم الغيب إلا الله.

٣- أن من ادعى علم الغيب فهو كافر، لأن ذلك من خصائص الله.

قال تعالى: ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾.

٤- قد يطلع الله تعالى من ارتضى أن يطلعه من الرسل على غيب خاص.

ومن أمور الغيب التي أخبر الله بها نبيه:

ـ قال تعالى: ﴿ غلبت الروم. في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾.

ـ وقال تعالى: ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾.

ـ وقال تعالى: ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾.

٥- بيان إحاطة علم الله بكل شيء وإحصائه تعالى لكل شيء علماً.

سورة المزمل

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨) رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (٩) ﴾.

(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١)) أي أيها المتلفف بثيابه، وأصله المتزمل وهو الذي تلفف وتغطى، وخطابه بهذا الوصف: (يا أيها المزمل) فيه تأنيس وملاطفة له ﷺ .

(قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢)) أي دع الزمل والتلفف، وانشط لصلاة الليل والقيام فيه ساعات في عبادة ربك، لتستعد للأمر الجليل والمهمة الشاقة، ألا وهي تبليغ دعوة ربك للناس.

(نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) أي قم للصلاة والعبادة نصف الليل، أو أقل من النصف قليلاً، أو أكثر من النصف، والمراد أن تكون هذه الساعات طويلة بحيث لا تقل عن ثلث الليل ولا تزيد على الثلثين.

(وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤)) أي اقرأه على تمهل، فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره.

(إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥)) اختلف العلماء:

فقيل: أي ثقيل عند نزوله.

قال رسول الله ﷺ في الوحي: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد

فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً) . رواه البخاري

وقيل: ثقيل في تكاليفه إلا من يسرها الله عليه.

كما قال تعالى في شأن الصلاة: ﴿ وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ .

وقيل: ثقيل في الميزان .

كما قال ﷺ : (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ...) .

(إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) أي ساعاته وأوقاته، وكل ساعة منه تسمى ناشئة.

(هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦)) أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة، فهي أجمع للخاطر في أداء القراءة ونفعها من قيام النهار، لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش.

(إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً (٧)) أي إن لك في النهار تصرفاً وتقلباً واشتغالاً طويلاً في شؤونك.

(وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨)) أي أكثر من ذكره بجميع أنواع الذكر (وتبتل) وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك، وما تحتاج إليه من أمور.

فالمراد بالتبتل هنا: الانقطاع لعبادة، وأما التبتل المنهي عنه كما جاء عن النبي ﷺ أنه نهى عثمان بن مظعون عن التبتل، فالمراد به الانقطاع عن الزواج والامتناع عن طيبات الحياة الدنيا وما أباحه الله فيها.

(رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (٩)) أي هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا إله إلا هو، كما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل فاتخذه وكيلاً، كما قال تعالى: ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾.

الفوائـد:

١- الحث على قيام الليل.

وقد جاءت النصوص الكثيرة في فضل قيام الليل:

ـ قال تعالى: ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾.

ـ وقال تعالى: ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً ...﴾.

ـ وقال تعالى: ﴿ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً﴾.

ـ وقال تعالى: ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ... ﴾.

ـ وقال رسول الله ﷺ: (أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل) . رواه مسلم .

ـ وقال ﷺ في شأن ابن عمر: (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل) .

ـ وقال ﷺ: (أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام). رواه الترمذي

٢- استحباب ترتيل القرآن وتدبره وترك العجلة.

٣- أن الوحي حين نزوله يكون ثقيلاً، وسبب شدة نزول الوحي:

قيل: أن الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به.

وقيل: إنما كان شديداً عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما يسمع.

وفائدة هذه الشدة: ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى والدرجات.

٤- أن صلاة الليل أفضل من صلاة النهار، والمقصود التطوع المطلق، لقوله ﷺ: (أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل).

٥- مشروعية ذكر الله من صلاة ودعاء واستغفار وتسبيح وغيرها.

٦- مشروعية الانقطاع إلى الله في كل أمر من أمور الدنيا.

٧- ربوبية الله سبحانه وتعالى.

٨- إثبات وحدانية الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً

شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (١٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (١٩) ﴾ .

(وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) يأمر الله تعالى رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله ممن كذّبه من سفهاء قومه من قولهم: ساحر، شاعر، مجنون.

(وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً (١٠)) وأمره أن يهجرهم هجراً جميلاً.

قال ابن كثير: "وهو الذي لا عتاب معه".

وقد اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا ؟

فقيل: إنها منسوخة .

وناسخها آية السيف في سورة براءة، أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لا يقبل منهم غيرها.

وقيل: أنها ليست بمنسوخة.

ثم قال تعالى متهدداً لكفار قومه ومتوعداً وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء:

(وَذَرْنِي) اتركني.

(وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ) المكذبين المترفين أصحاب الأموال، فسأنتقم منهم وإن أمهلتهم فلا أهملهم، الذين طغوا حين وسع الله لهم من رزقه وأمدهم من فضله، كما قال تعالى: ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى ﴾ .

(وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١)) أي رويداً، كما قال تعالى: ﴿ نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ .

ثم توعدهم بما عنده من العذاب فقال:

(إِنَّ لَدَيْنَا) أي عندنا .

(أَنكَالاً) وهي القيود، فالأنكال جمع نكل، وهو القيد من الحديد.
(وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾) وهي النار المضطرمة يحرقون بها.
(وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ) أي وطعام كريه ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج .
قال الشيخ السعدي: "وذلك لمرارته وبشاعته وكراهة طعمه وريحه الخبيث المنتن".
(وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾) أي عذاباً مؤلماً موجعاً .
(يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) أي يوم تتزلزل الأرض وتهتز بمن عليها هي وسائر الجبال، من الهول العظيم في يوم القيامة .
(وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴿١٤﴾) أي تصير الجبال ككثبان الرمال، بعد ما كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب، كما قال تعالى: ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ .
(إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ) يقول تعالى مخاطباً لكفار قريش، والمراد سائر الناس: (إنا أرسلنا إليكم) أي بعثنا لكم يا أهل مكة (رسولاً) أي محمد ﷺ شاهداً على أعمالكم، يشهد عليكم بما يصدر منكم من الكفر والعصيان .
(كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾) أي كما بعثنا على ذلك الطاغية فرعون الجبار، رسولاً من أولئك الرسل العظام وهو موسى بن عمران.
قال بعض العلماء: " وإنما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الأمم والرسل، لأن محمد ﷺ آذاه أهل مكة واستخفوا به لأنه ولد فيهم، كما أن فرعون ازدرى بموسى وآذاه لأنه ربّاه ".
(فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ) أي فكذب فرعون بموسى ولم يؤمن به، وعصى أمره، كما عصيتم يا قريش محمداً ﷺ وكذبتم برسالته.
(فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٦﴾) أي شديداً بليغاً، وذلك بإغراقه في البحر مع قومه.

قال بعض العلماء: "في الآية التنبيه على أنه سيحيق بهؤلاء ما حاق بأولئك لا محالة ".

(فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾) أي كيف يحصل لكم الفكاك والأمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم ﴿ يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾ أي من شدة أهواله وزلازله وبلابله، وذلك حين يقول الله تعالى لآدم: ﴿ أخرج بعث النار، من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فيشيب هناك كل وليد ﴾. ثم زاد في وصفه وهوْله فقال:

(السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ﴿١٨﴾) أي السماء متشققة ومتصدعة من هول ذلك اليوم الرهيب العصيب.

(كان وعده مفعولاً) أي كان وعد هذا اليوم مفعولاً أي واقعاً لا محالة، وكائناً لا محيد عنه.

(إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ) أي هذه الموعظة التي نبأ الله بها من أحوال يوم القيامة وأهوالها يتذكر بها المتقون وينزجر بها المؤمنون.

(فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴿١٩﴾) أي فمن شاء اتخذ طريقاً يتقرب به إلى الله عز وجل، وذلك بطاعة الله سبحانه وتعالى والعمل بما شرع.

الفوائد:

١- وجوب الصبر في الدعوة إلى الله على أذى الخلق.
٢- التهديد الشديد للكافرين.
٣- أن أصحاب الأموال والغنى غالباً ما يكونون أعداء لدعوة الرسل.
٤- أن الله يمهل الظالم ولا يهمله.
٥- بيان شيء من عذاب النار.
٦- شدة أهوال يوم القيامة، ويمثل ذلك:

* ترجف الأرض وتتزلزل.

* الجبال القوية الصلبة تكون رملاً مجتمعاً.
* يكون الولدان شيباً.
* السماء تنشق بسبب أهواله.

٧- إثبات رسالة محمد ﷺ .

٨- شدة عقاب الله للجبارين.

٩- يجب على الإنسان أن يتقي ذلك اليوم الرهيب بالإيمان والعمل الصالح .

١٠- أن هذا القرآن الذي فيه ذكر القيامة وأهوالها، وذكر الأمم الماضية وإهلاكها، عبرة وتذكر لمن أراد أن يتذكر.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ﴾.

(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ) أي أن ربك يا محمد يعلم أنك تقوم مع أصحابك للتهجد والعبادة أقل من ثلثي الليل، وتارة تقومون نصفه، وتارة ثلثه .

قال ابن كثير: "أي تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كل من غير قصد منكم ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم".

(وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) أي تارة يعتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا.

(عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ) قال الطبري: "أي علم ربكم أن لن تطيقوا قيامه، فتاب عليكم بالتخفيف عنكم".

(فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) أي فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل، وعبر عن الصلاة بالقراءة لأن القراءة أحد أجزاء الصلاة.

ثم بين سبحانه وتعالى الحكمة من ذلك:

(عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ) أي : علم ربكم ـ أيها المؤمنون ـ أن سيكون منكم أهل مرض قد أضعفه المرض عن قيام الليل .

(وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ) في سفر (يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ) في تجارة قد سافروا لطلب المعاش فأعجزهم ، فأضعفهم أيضاً عن قيام الليل .

(وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وآخرون أيضاً منكم يجاهدون العدو فيقاتلونهم في نصرة دين الله، فرحمكم الله فخفف عنكم ووضع عنكم فرض قيام الليل.

(فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) أي فافعلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل، واقرءوا في صلاتكم ما تيسر من القرآن.

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) أي أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة.

(وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) أي تصدقوا في وجوه البر والإحسان ابتغاء وجهه.

شبه سبحانه وتعالى الأعمال الصالحة والإنفاق في سبيل الله بالمال المقترض، وشبه الجزاء المضاعف على ذلك ببذل القرض، وسمى أعمال البر قرضاً لأن المحسن بذلها ليأخذ عوضها فأشبه من أقرض شيئاً ليأخذ عوضه.

والقرض يكون حسناً: بأن لا يتبع بمنٍّ ولا أذىً، وأن يكون من كسب طيب، وعن نفس طيبة.

(وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا) أي وما تقدموا ـ أيها المؤمنون ـ لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل

الله أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حج، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله، تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم هو خيراً لكم مما قدمتم في الدنيا، وأعظم منه ثواباً، أي ثوابه أعظم من ذلك الذي قدمتموه لو لم تكونوا قدمتموه.

(وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾) أي اطلبوا المغفرة من ذنوبكم يغفرها لكم ربكم، فهو واسع المغفرة والرحمة.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " وفي الأمر بالاستغفار بعد الحث على أفعال الطاعة والخير، فائدة كبيرة، وذلك أن العبد لا يخلو من التقصير فيما أمر به، إما أن لا يفعله أصلاً، أو يفعله على وجه ناقص، فأمر بترقيع ذلك بالاستغفار، فإن العبد يذنب آناء الليل والنهار، فمتى لم يتغمده الله برحمته ومغفرته فإنه هالك".

الفوائد:

١- أن قيام الليل كان فرضاً في أول الأمر ثم نسخ، وقد اختلف العلماء هل كان فرضاً على النبي (وحده أو عليه وعلى سائر الأمة ؟

فقيل: كان فرضاً على النبي ﷺ .

وقيل: كان فرضاً عليه وعلى عموم الأمة، واختاره القرطبي.

واختلف ما الناسخ؟

فقيل: الناسخ قوله تعالى: ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ... ﴾.

وقيل: أن الناسخ هو قوله تعالى: ﴿ علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ﴾.

وقيل: إنه منسوخ بحديث: (خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال السائل: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع).

٢- بيان ما كان الرسول ﷺ وأصحابه يقومونه من الليل تهجداً.

٣- نسخ وجوب قيام الليل وبقاء استحبابه.

٤- وجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

٥- فضل الصدقة والإنفاق في وجوه الخير، وشبه الله سبحانه وتعالى البذل من أجله بالقرض، لأن المقرض يستوفي قرضه بكل حال، فكأن الله سبحانه وتعالى جعل هذه الأعمال قرضاً عليه، أي التزم جلّ وعلا بوفائها ،وإلا فمن المعلوم أن الرب عز وجل غني عن العالمين لا يحتاج إلى قرض.

٦- بيان فضل الله عز وجل على عباده، حيث يرغبهم ويشوقهم إلى البذل في سبيله، وأنهم سيجازون على ذلك أضعافاً مضاعفة.

٧- أن القرض لا يقبل إلا إذا كان حسناً.

٨- أن الله لا يقبل قرضاً ليس بحسن.

٩- إن عمل خيراً أو صالحاً فسوف يجده أمامه يوم القيامة أضعافاً مضاعفاً.

١٠- فضيلة الاستغفار واستحباب الإكثار منه وخاصة بعد العبادات.

سورة المدثر

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ﴾ .

(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)) أي أيها المتغطي بقطيفته .

قال القرطبي: " ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحاله، وعبر عنه بصفته، ولم يقل: يا محمد، ويا فلان، ليستشعر اللين والملاطفة من ربه".

(قُمْ فَأَنذِرْ (٢)) أي شمر عن ساق العزم وأنذر الناس، وبهذا حصل الإرسال .

أخرج البخاري ومسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي: (فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض) قال رسول الله ﷺ : (فجئثت منه فرقاً، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فدثروني، فأنزل الله: ﴿ يا أيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر ﴾) . متفق عليه

(فترة الوحي): أي فتوره وتأخره. (فجئثت) أي فزعت.

(وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)) أي عظمه بالتوحيد، وخصه بالتقديس والتمجيد، وأفرده بالعظمة والكبرياء .

قال بعض العلماء: وإنما ذكرت هذه الجملة بعد الأمر بالإنذار تنبيهاً للنبي ﷺ على عدم الاكتراث بالكفار، فإن نواصي الخلائق بيد الجبار، فلا ينبغي أن يبالي الرسول ﷺ بأحد من الخلق.

(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)) اختلف العلماء في المراد بالثياب هنا:

فقيل: اغسل ثيابك وطهرها من النجاسـات، فقد كان المشركون لا يتطهرون من النجاسات، واختار هذا القول ابن جرير.

وقيل: كن طاهراً من المعاصي والذنوب والآثام، والعرب تقول للنقي من الذنوب والآثام: طاهر الثياب.

ولا مانع من القولين .

(وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)) الرجز: الأصنام، فأمر بتركها والبراءة منها ومما نسب إليها من قول أو عمل.

(وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦)) اختلف العلماء:

فقيل: لا تعط العطية تلتمس أكثر منها، ورجحه ابن كثير.

وقيل: لا تمنن بعملك على ربك تستكثره، واختاره ابن جرير.

(وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)) ولربك وحده دون سواه فاصبر على كل ما تلقاه في سبيل إبلاغ رسالتك ونشر دعوتك دعوة الخير والكمال.

(فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨)) الناقور: الصور، أي فإذا نفخ في الصـور، نفخة البعث والنشور.

(فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩)) أي فذلك اليوم يوم شديد هائل.

(عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)) أي غير سـهل عليهم، لأنهم قـد يئسـوا من كل خيـر، وأيقنوا الهلاك والبـوار، كما قال تعالى :﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسير﴾.

الفوائـد:

١- أن مهمة الرسول هي الإنذار.

٢- أن الجدية والنشاط والعمل هي طابع المسلم، فلا كسل ولا هور ولا خمول.

٣- بيان أول ما أنزل من القرآن بعد فترة الوحي، وهي سورة المدثر.

وأما أول مـا أنزل على الإطلاق: ﴿ اقرأ باسـم ربك الذي خلق. خلق الإنسـان من علق. اقـرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ .

لحديث عائشة قالت: (أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم... حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ ... فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق ...)

٤- وجوب تعظيم الله.

٥- وجوب طهارة القلب من الآثام والمعاصي، وطهارة البدن والثوب من النجاسات.

٦- تحريم العجب، أن يعجب الإنسان بعمله فيستكثره.

٧- وجوب الصبر على ما يصاب به الإنسان من أذى الناس.

٨- أن الإنسان ينبغي أن يجعل صبره وطاعته كلها لله.

٩- إثبات النفخ في الصور [وقد سبق مباحثه].

١٠- أن يوم القيامة يوم شديد على الكفار، كما قال تعالى: ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ .

١١- أن يوم القيامة يسير على المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ وقال سبحانه: ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر ﴾ .

١٢- إثبات يوم القيامة وشدته.

قوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً (١٢) وَبَنِينَ شُهُوداً (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) ﴾ .

(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾) ذرني: أي اتركني، وهي كلمة تحمل التهديد الأكيد والوعيد الشديد، كقوله تعالى:

﴿ ذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً ﴾ .

المعنى: أي دعني يا محمد وهذا الشقي، الذي خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد، ولا حول له ولا مدد.

قال المفسرون: هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة ، المعاند للحق، المبارز لله ولرسوله بالمحاربة والمشاقة.

(وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾) أي واسعاً كثيراً، وجعلت له أيضاً:

(وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾) أي حاضرين عنده على الدوام، يتمتع بهم ويقضي بهم حوائجه.

(وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾) أي مكنته من الدنيا وأسبابها حتى انقادت له مطالبه، وحصل له ما يشتهي ويريد.

(ثُمَّ) مع هذه النعم والإمدادات :

(يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾) اختلف العلماء في معناها :

فقيل: يطمع أن أزيده في الدنيا زيادة على ما هو فيه من المال والبنين.

وقيل: يطمع أن أزيده في الآخرة ويدخل الجنة.

قال بعض العلماء: لفظ (ثم) هنا للإنكار والتعجب، كما تقول لصاحبك: أنزلتك داري وأطعمتك وأكرمتك ثم أنت تشتمني.

(كَلاَّ) أي ليس الأمر كما طمع، بل الأمر بخلاف مقصوده ومطلوبه، وذلك:

(إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾) أي لأنه معاند للحق، جاحد بآيات الله، مكذب لرسوله، ولم يكفه أنه أعرض عنها وتولى، بل جعل يحاربها ويسعى في إبطالها .

(سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾) اختلف في معنى صعوداً:

فقيل: جبل في جهنم يصعد فيه الكفار سبعين خريفاً.

وقيل: عذاباً لا راحة فيه.

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ ﴾ أي إنما أرهقناه صعوداً، أي قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان ، لأنه: (فكر) أي في شأن النبي ﷺ (وقدر) أي في نفسه.

وقدر: أي تروى.

﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي لعن كيف قدر ذلك التقدير الذي هو قوله: ﴿ إن هذا إلا سحر يؤثر. إن هذا إلا قول البشر ﴾ .

﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ﴾ أي تروّى، أي أعاد النظر والتروي.

﴿ ثُمَّ عَبَسَ ﴾ أي قبض بين عينيه وقطب.

﴿ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي كلح وكره.

قال بعض العلماء: البسور تقطيب الوجه وهو أشد من العبوس.

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي صرف عن الحق ورجع القهقرى مستكبراً عن الانقياد للقرآن.

﴿ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ أي ما هذا كلام الله، بل كلام البشر، وليس أيضاً كلام البشر الأخيار، بل كلام الأشرار منهم والفجار، من كل كاذب سحار، فتباً له، ما أبعده من الصواب، وأحراه بالخسارة والتباب، فما حقه إلا العذاب الشديد، ولهذا قال تعالى:

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي سأعذبه فيها من جميع جهاته.

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ ﴾ هذا تهويل لأمرها وتفخيم، ثم فسر ذلك بقوله :

﴿ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ أي لا تبقي لحماً ولا تذر عصباً، بل تأتي على الكل.

﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴾ اختلف العلماء في المراد للبشر:

فقيل: أي تحرق الجلد وتسوده، فالبشر جمع بشرة وهي جلدة الإنسان الظاهرة.

وقيل: أي تلوح وتظهر لأنظار الناس من مسافات بعيدة لعظمها وهولها، كقوله تعالى: ﴿ وبرزت الجحيم لمن يرى ﴾ .

ورجحه القرطبي في تفسيره.

(عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)) أي على سقر ملائكة يقال لهم الخزنة عدتهم تسعة عشر ملكاً، كما قال تعالى: ﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ .

الفوائد:

١- أن الله هو الخالق.

٢- أن المال والغنى والأولاد سبب في الطغيان غالباً إلا من سلمه الله.

٣- من أشد الناس كفراً من يعاند في آيات الله يريد صرفها عن الناس.

٤- شدة عذاب طاغية قريش الوليد بن المغيرة.

٥- أن سقر اسم من أسماء النار.

٦- شدة عذاب النار، حيث لا تترك شيئاً من اللحم والعصب إلا أهلكته.

٧- أن خزنة جهنم تسعة عشر.

٨- أن القرآن كلام الله وليس كلام البشر.

قال تعالى: ﴿ ... فأبلغه مأمنه حتى يسمع كلام الله ... ﴾.

٩- التهديد الشديد لمن قال أن القرآن كلام البشر، وأن مأواه سقر.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلاَّ وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) ﴾ .

(وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ) أي خزانها.

(إِلاَّ مَلائِكَةً) أي زبانية غلاظاً شداداً، وذلك رداً على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال أبو جهل: يا معشر قريش، أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم، فقال الله تعالى: (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) أي شديدي الخلق لا يقاومون ولا يغالبون.

(وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا) أي إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختباراً للناس.

قال الطبري: " وإنما جعل الله الخبر عن عدة خزنة جهنم فتنة للكافرين، لتكذيبهم بذلك وقول بعضهم لأصحابه ـ على سبيل الاستهزاء ـ أنا أكفيكموهم".

(لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أي ليتيقن أهل الكتاب من صدق محمد، وأن هذا القرآن من عند الله، إذ يجدون هذا العدد في كتبهم المنزلة.

(وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) أي ويزداد المؤمنون تصديقاً بالله ورسوله، بما يشهدون من صدق أخبار نبيهم ﷺ .

(وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) أي ولا يشك أهل الكتاب والمؤمنون في عددهم، وهذا تأكيد لما قبله، لأنه لما ذكر اليقين نفى عنهم الشك .

(وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) شك ونفاق .

(وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً) أي يقولون: ما الحكمة من ذكر هذا ها هنا؟

(كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ) أي من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام، ويتزلزل عند آخرين، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة .

قال الشيخ السعدي: " فمن هداه الله، جعل ما أنزل على رسوله رحمة في حقه وزيادة في إيمانه ودينه، ومن أضله، جعل ما أنزله على رسوله زيادة شقاء عليه وحيرة وظلمة في حقه".

(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ) أي ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى، لئلا يتوهم متوهم أنما هم تسعة عشر فقط .

(وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾) أي ما هذه النار التي وضعها لكم الجبار إلا موعظة وتذكرة للخلق ليخافوا ويطيعوا.

(كَلاَّ) كلا بمعنى حقاً، أو بمعنى (ألا) الاستفهامية.

(وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾) أقسم تعالى بالقمر.

(وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾) أي ولّى بظلمته ذاهباً.

(وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾) أي وبالصبح إذا أضاء.

(إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾) أي: إن النار لإحدى العظائم الطامة والأمور الهامة.

(نَذِيراً لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾) أي هي إنذار للخلق ليتقوا ربهم.

(لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾) أي لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدي للحق، أو يتأخر عنها ويولي ويردها.

الفوائد:

١- بيان الحكمة من جعل عدد الزبانية تسعة عشر والإخبار عنهم بذلك.

٢- أن الإيمان يزيد وينقص، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة.

قال تعالى: ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ .

٣- أن المؤمن يؤمن ويسلِّم بكل ما صح وأخبر به النبي ﷺ ، بل ويزداد إيمانه بذلك.

٤- أن عدد الملائكة كثير جداً.

قال تعالى: ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾.

وقال ﷺ في البيت المعمور: (... يدخله كل يوم سبعون ألف ملك) . رواه

مسلم

وقال ﷺ : (إني لأسمع أطيط السماء، ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم) .

٥- أن الهداية والإضلال بيد الله.

٦- أن الإنسان ينبغي أن يسأل الله الهداية، لأن الهداية بيد الله.

٧- أن النار ذكر وعبرة للناس ليرجعوا إلى ربهم.

٨- أن النار إحدى الدواهي الكبيرة والبلايا الخطيرة .

٩- أن جهنم إنذار وتحذير للبشر ليتقوا ربهم .

١٠- أن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب وحذر وأنذر، ثم بعد ذلك من شاء اتقى الله وأطاعه، ومن شاء تأخر وعصى وتجبر.

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلاَّ بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ (٥٣) كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦) ﴾ .

(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)) يخبر تعالى أن كل نفس بما كسبت رهينة أي متعلقة بعملها يوم القيامة.

(إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩)) أي إلا فريق السعداء المؤمنين فإنهم ناجون من النار.

(فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠)) أي في جنات قد حصل لهم جميع مطلوباتهم، وتمت

لهم الراحة والطمأنينة، حتى أقبلوا يتساءلون فأفضت بهم المحادثة بالسؤال عن المجرمين.

(عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١)) أي يسألون وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم:

(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢)) أي: أيّ شيء أدخلكم فيها ؟ وبأي ذنب استحققتموها ؟

(قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣)) أي لم نك من المصلين في الدنيا لرب العالمين.

(وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤)) أي ولم نك نخرج الزكاة للفقراء المحتاجين بخلاً بما آتاهم الله.

(وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥)) أي نخوض بالباطل ونجادل به الحق.

(وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦)) أي نكذب بيوم الدين وهو يوم الجزاء والمعاد.

(حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)) أي حتى جاءنا الموت، كقوله تعالى: ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ .

(فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)) أي من كان متصفاً بمثل هذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه، لأن الشفاعة إنما تنجح إذا كان المحل قابلاً، فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة فإن له النار لا محالة خالداً فيها.

(فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩)) فما لهؤلاء المشركين معرضين عن القرآن وآياته، وما فيه من المواعظ البليغة والنصائح والإرشادات.

(كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠)) كأنهم في نفارهم حمر وحش نفرت بعضها من بعض .

(فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١)) أي هربت ونفرت من الأسد من شدة الفزع.

قال بعض العلماء: شبههم بالحمر النافرة مذمة لهم وتهجيناً.

قال ابن عباس: (الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء

المشركون إذا رأوا محمداً هربوا منه كما يهرب الحمار من الأسد).

(بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢)) أي بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاباً كما أنزل على النبي ﷺ .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " وقد كذبوا، فإنهم لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، لأنهم جاءت البينات التي تبين الحق وتوضحه، فلو كان فيهم خير لآمنوا ".

(كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣)) أي إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها.

(كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤)) أي حقاً أن القرآن تذكرة.

(فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥)) أي فمن شاء اتعظ بما فيه، وانتفع بهداه.

(وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ) أي ما يتعظون به إلا أن يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا.

(هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦)) الله أهل أن يتقي عباده عقابه على معصيتهم إياه، فيجتنبوا معاصيه، ويسارعوا إلى طاعته (وأهل المغفرة) هو أهل أن يغفر ذنوبهم إذا هم فعلوا ذلك، ولا يعاقبهم عليها مع توبيخهم فيها.

الفوائد:

١- كل نفس مكانها ونجاتها على حسب كسبها، ولا يظلم ربك أحداً.

٢- الحرص على العمل الصالح، لأنه هو سبب النجاة بعد رحمة الله.

٣- أن أهل الجنة يرون أهل النار يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ ... إلا أصحاب اليمين. في جنات يتساءلون. عن المجرمين. ما سلككم في سقر ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون. قال قائل منهم إني كان لي قرين. يقول أئنك لمن المصدقين. أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون. قال هل

أنتم مطلعون. فاطلع فرآه في سواء الجحيم. قال تالله إن كدت لتردين ﴾ .

٤- أن تارك الصلاة كافر، وتارك الصلاة ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن يكون جاحداً لوجوبها.

فهذا كافر بالإجماع.

القسم الثاني: أن يكون تاركها كسلاً وتهاوناً.

فهذا فيه خلاف، والصحيـــح أنه كافر.

لقوله تعالى في أهل النار: ﴿ ... لم نك من المصلين ... ﴾.

وقال ﷺ : (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة). رواه مسلم

وقال ﷺ : (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر). رواه الترمذي .

وقال ﷺ : (من لم يحافظ عليها ـ أي الصلاة ـ لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف). رواه أحمد

٥- بيان أكبر الجرائم وهي: ترك الصلاة، ومنع الزكاة، والخوض في الباطل، وعدم التصديق بيوم الحساب والجزاء.

٦- لا شفاعة يوم القيامة لمن مات مشركاً بالله.

قال تعالى: ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾.

وقال تعالى: ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾.

٧- ذم من يفر من الدعوة إلى الله، فقد شبهه الله بالحمار.

٨- أن القرآن عبرة وتذكرة لمن أراد التذكرة.

٩- أن للعبد مشيئة، لكنها تحت مشيئة الله.

١٠- الله هو الذي يجب أن يتقى فلا يعصى، وأهل أن يغفر لمن تاب وأناب.

سورة القيامة

قوله تعالى: ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلاَّ لا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥) ﴾.

(لا) أي ليس الأمر كما يدعي المشركون من أنه لا بعث ولا جزاء.

(أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١)) أي أقسم بيوم القيامة، يوم الحساب والجزاء.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " فالمقسم به في هذا الموضع هو المقسم عليه، وهو البعث بعد الموت وقيام الناس من قبورهم ".

(وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)) وأقسم بالنفس اللوامة، واختلف العلماء بالنفس اللوامة:

فقيل: هي النفس المؤمنة، قاله الحسن. قال: "لا يُرى المؤمن إلا يلوم نفسه على كل حال".

وقيل: المذمومة، قاله ابن عباس. قال: " هي التي تلوم نفسها حين لا ينفعها الندم".

وقيل: جميع النفوس، فما من نفس بَرّة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها.

قال ابن جرير: " وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى، والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على فعل ما فات ".

(أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣)) أي يوم القيامة، أيظن الإنسان (الكافر) أنّا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة، كما قال تعالى: ﴿ قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾.

فاستبعد من جهله وعدوانه قدرة الله على خلق عظامه التي هي عماد البدن، فردّ عليه بقوله:

(بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)) البنان: أطراف الأصابع. في هذه الآية قولان:

قيل: أن يجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخف البعير وحافر الحمار، واختاره ابن جرير.

وقيل: نقدر على أن نسوي بنانه كما كانت، وإن صغرت عظامها، ومن قدر على جمع صغار العظام كان على جمع كبارها أقدر.

(بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥)) هو الكافر يكذب بيوم الحساب، ولهذا قال بعده :

(يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦)) أي يقول متى يوم القيامة، وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه، وتكذيب لوجوده، كما قال تعالى: ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾.

ثم ذكر أحوال القيامة فقال:

(فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧)) أي أن الأبصار تحار وتنبهر يوم القيامة من شدة الأهوال، ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور.

(وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨)) أي ذهب ضوؤه .

(وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩)) وهما لم يجتمعا منذ خلقهما الله تعالى، فيجمع الله بينهما يوم القيامة، ويخسف القمر وتكور الشمس، ويقذفان في النار ليرى العباد أنهما عبدان مسخران، ويرى من عبدهما أنهم كانوا كاذبين.

(يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾) أي إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة، حينئذٍ يريد أن يفر ويقول: (أين المفر) أي هل من ملجأ أو موئل.

(كَلاَّ) أي لا فرار اليوم من قبضة الجبار أيها الإنسان الكافر.

(لا وَزَرَ ﴿١١﴾) لا حصن ولا ملتجأ .

(إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾) أي إلى الله وحده مصير ومرجع الخلائق، فليس في إمكان أحد أن يستتر أو يهرب عن ذلك الموضع، بل لا بد من إيقافه ليجزى بعمله، ولهذا قال:

(يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾) أي يُخبر الإنسان في ذلك اليوم بجميع أعماله، صغيرها وكبيرها، عظيمها وحقيرها، ما قدّمه منها في حياته، وما أخره بعد مماته، من سنة حسنة أو سيئة، وفي الحديث: (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً). رواه مسلم

وهناك قول ثاني في معنى الآية وهو: بما قدم في أول عمره وما أخر في آخره.

(بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾) أي بل هو شاهد على نفسه يوم القيامة تشهد عليه أعضاؤه وجوارحه، كقوله تعالى:

﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ .

(وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾) أي ولو حاول عنها وقدم من اعتذارات، فإن أعضاؤه تكذبه، كما قال تعالى: ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ﴾ .

الفوائد:

١- إثبات يوم القيامة.

٢- قدرة الله على جمع العظام وإحيائها.

٣- نعمة الله على الإنسان حيث لم يجعل أصابعه شيئاً واحد، بل فرقها ليأخذ

بها، ويتناول ويقبض ويبسط.

٤- بيان شيء من شدة أهوال يوم القيامة .

٥- أن الشمس والقمر من معبودات الله.

٦- يوم القيامة لا مفر منه ولا ملجأ.

٧- إثبات البعث .

٨- ينبغي للإنسان أن يحرص على العمل الصالح، لأنه هو الذي سيواجهه يوم القيامة.

٩- أن الله لا يظلم.

١٠- أن أعضاء الإنسان ستكون شاهد على الإنسان بما عمل من خير أو شر.

١١- على الإنسان أن يتقي الله بهذه الأعضاء فيستعملها في طاعة الله ومرضاته.

قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) ﴾ .

(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦)) هذا تعليم من الله لرسوله ﷺ في كيفية تلقي الوحي من الملك، كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يسمع له.

(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ) أي في صدرك.

(وَقُرْآنَهُ (١٧)) أي أن تقرأه.

(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨)) أي إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى (فاتبع قرآنه)

أي فاســتمع له ثم اقرأه كما أقرأك.

(ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾) أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا .

عن ابن عباس قال: (كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه، فأنزل الله: (لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه) فكان (بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي كما قرأه). رواه مسلم

(كَلَّا) أي ليس الأمر كما تزعمون أنه لا بعث ولا حساب.

(بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾) الذي دعاكم إلى قول ذلك (عدم البعث) محبتكم الدنيا العاجلة وإيثار شهواتها على آجل الآخرة ونعيمها، فأنتم تؤمنون بالعاجلة وتكذبون بالآجلة.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " أي هذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره أنكم (تحبون العاجلة) وتسعون في تحصيلها في لذاتها وشهواتها، وتؤثرونها على الآخرة، فتذرون العمل لها، لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل".

(وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾) أي تتركون الآخرة الباقية.

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾) أي حسنة بهية مشرقة مسرورة.

(إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾) أي ينظرون إلى ربهم .

(وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾) هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة: أي عابسة كدرة ذليلة.

(تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾) تظنّ: أي تستيقن، أي تستيقن أن يفعل بها فاقرة: أي داهية وشر.

الفوائـد:

١- حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن وعدم ضياعه.

٢- رحمة الله عز وجل وتعليمه لنبيه.

٣- الأدب لآخذ العلم : أن لا يبادر المتعلم للعلم قبل أن يفرغ المعلم من المسألة التي شرع فيها.

٤- ذم حب الدنيا والتعلق بها.

ـ كما قال تعالى: ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾ .

ـ وقال تعالى: ﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴾ .

٥- أن وجوه أهل الجنة مشرقة من الفرح والسرور، وأما وجوه أهل النار فهي ذليلة خاشعة.

ـ قال تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ .

ـ وقال تعالى: ﴿ وجوه يومئذٍ مسفرة . ضاحكة مستبشرة. ووجوه يومئذٍ عليها غبرة ترهقها قترة ﴾ .

ـ وقال تعالى: ﴿ وجوه يومئذٍ خاشعة. عاملة ناصبة. تصلى ناراً حامية ﴾.

٦- إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وقد دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على ذلك:

ـ قال تعالى: ﴿ وجوه يومئذٍ ناضرة. إلى ربها ناظرة ﴾.

ـ وقال تعالى: ﴿ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾ قال الطبري: " قال علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله ".

ـ وقال تعالى: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ فالحسنى الجنة ، والزيادة: هي النظر إلى وجه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ كما رواه مسلم في صحيحه .

ـ وقال تعالى: ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون ﴾ احتج الشافعي وغيره

من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، لما حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا .

ـ وقال ﷺ : (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته). متفق عليه

٧- شدة إيقان الكافر يوم القيامة بشدة العذاب وأليم العقاب الذي سيناله.

قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَت التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّت السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠) ﴾ .

(كَلاَّ) أي ليس الأمر كما تحسب أيها الإنسان أن الله لا يجمع عظامك ولا يحييك.

(إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦)) أي بلغت النفس التراقي: والترقوة: هي العظام المكتنفة لثغر النحر (أعالي الصدر) .

قال بعض العلماء: اعلم أنه يكنى ببلوغ النفس التراقي عن القرب من الموت .

(وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧)) اختلف في معنى راق:

فقيل: أي يرقيها .

وقيل: من صاعد يصعد بها إلى الله.

والأول أظهر، ورجحه ابن تيمية وقال: " لأن هذا قبل الموت ".

(وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨)) أي وأيقن المحتظر أنه سيفارق الدنيا والأهل والمال.

(وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾) اختلف في معناها:

فقيل: التفت إحدى ساقي المحتضر على الأخرى من شدة كرب الموت وسكراته.

وقيل: اجتمعت عليه الشدائد، والتفت، وعظم الأمر، وصعب الكرب، فاجتمع عليه شدة كرب الدنيا، مع شدة الموت وكربه، ويكون ذلك من باب التمثيل للأمر الهائل العظيم، حيث يلتقي عليه شدة كرب الدنيا مع شدة كرب الآخرة .

(إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾) أي المرجع والمآب، يجتمع عنده الأبرار والفجار، ثم يساقون إلى الجنة أو النار.

(فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾) هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذباً للحق بقلبه، متولياً عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطناً ولا ظاهراً (فلا صدق) بآيات الله والقرآن، بل كذب بها (ولا صلى) لم يصل لله صلاة.

وجمهور العلماء على أنها نزلت في أبي جهل.

(وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾) أي ولكن كذب بالقرآن وأعرض عن الإيمان.

(ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾) أي ذهب يتبختر، أشراً وبطراً لا همة له ولا عمل.

(أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾) هذا تهديد ووعيد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبختر في مشيه، أي يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك، كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد.

كقوله تعالى: ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾.

(أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾) فيها قولان:

قيل: لا يؤمر ولا ينهى.

وقيل: لا يبعث.

والظاهر أن الآية تعم الحالين. والمعنى:

أفيظن الكافر أن يترك مهملاً في الدنيا لا يُؤمر ولا يُنهى، وأن يترك في قبره لا

يبعث ؟

والمقصود هنا إثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد، ولهذا قال تعالى مستدلاً على الإعادة بالبداءة فقال:

(أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧)) أي أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين (يمنى) يراق من الأصلاب في الأرحام.

(ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨)) ثم أصبح بعد ذلك قطعة من ماء غليظ، ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقاً آخر سوياً سليم الأعضاء ذكراً أو أنثى بإذن الله وتقديره، ولهذا قال:

(فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩)) أي فجعل من هذا الإنسان صنفين: ذكر وأنثى بقدرة الله.

هذا أصل الإنسان وتركيبه، فكيف يليق بمثل هذا الضعيف أن يتكبر على طاعة الله ؟

(أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)) أي أليس الذي خلق الإنسان وطوره على هذه الأطوار المختلفة، بقادر على أن يحيي الموتى ؟ بلى إنه على كل شيء قدير.

وقد ثبت في سنن أبي داود أن النبي ﷺ إذا قرأ هذه الآية: (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) قال: (سبحانك فبلى).

الفوائد:

١- شدة حال احتضار الكافر، حيث تشتد عليه كرب الدنيا وكرب الآخرة.

٢- إثبات المعاد والمرجع على الله.

٣- أن عدم التصديق بالبعث وعدم الصلاة من أسباب شدة العذاب.

٤- تحريم الكبر والعجب والتبختر في المشي.

٥- أن الله خلقنا لحكمة ولم يخلقنا عبثاً وهملاً.

ـ قال تعالى: ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ .

- وقال تعالى: ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ﴾.

- وقال تعالى: ﴿ أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ﴾.

- وقال تعالى: ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾.

- وقال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ .

٦- تقرير عقيدة البعث، وذلك عن طريق تذكير الإنسان بأصله، وهذا أحد طرق القرآن العزيز بإثبات البعث.

طرق القرآن في إثبات البعث وتقريبه إلى الأذهان:

الطريقة الأولى: آيات صريحة في إثبات ذلك:

- قال تعالى: ﴿ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ .

- وقال تعالى: ﴿ والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون ﴾ .

- وقال تعالى: ﴿ ولا تخزني يوم يبعثون ﴾ .

- وقال تعالى: ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ .

- وقال تعالى: ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون. ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ .

وأمر الله نبيه أن يقسم به على المعاد:

- فقال تعالى: ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب ﴾.

- وقال تعالى: ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾.

- وقال تعالى: ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾.

وذم المكذبين بالمعاد:

فقال تعالى: ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ﴾.

ـ وقال تعالى: ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ﴾ .

الطريقة الثانية: التذكير بنشأة الإنسان الأولى

ـ قال تعالى: ﴿ فلينظر الإنسان مما خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب. إنه على رجعه لقادر ﴾.

ـ وقال تعالى: ﴿ ألم يك نطفة من منيّ يمنى. ثم كان علقة فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى. أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾.

ـ وقال تعالى: ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ .

الطريقة الثالثة: الاستدلال بإنبات النبات على إحياء الأموات

ـ قال تعالى: ﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ﴾.

ـ وقال تعالى: ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير. وأن الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ﴾ .

ـ وقال تعالى: ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾ .

الطريقة الرابعة: الإشارة ولفت الانتباه إلى خلق السموات

ـ قال تعالى: ﴿ أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ﴾ .

الطريقة الخامسة: تنزيه الله سبحانه عن العبث

فلو فرضنا أنه لا جزاء ولا حساب ولا بعث، فما فائدةَ الأوامر والنواهي.

ـ قال تعالى: ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ .

ـ وقال تعالى: ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ أي لا يؤمر ولا ينهى، وقيل: لا يبعث .

الطريقة السادسة: تنزيه الله عن الظلم

فلو لم يكن هناك بعث لا استوى الناس، فاستوى المؤمن الذي ترك كثيراً من الشبهات مخافة ربه، والكافر الذي لا يعرف ربه أصلاً.

قال تعالى: ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾.

الطريقة السابعة: ذكر وقائع وأحداث يستدل بها على البعث

ـ كما في قصة قتيل بني إسرائيل.

ـ وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت.

ـ وقصّة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها.

ـ وقصة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة.

ـ وقصة أصحاب الكهف، فقد أماتهم الله في الكهف ثلاثمائة وتسع سنين، قال تعال في قصتهم: ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ... ﴾.

سورة الإنسان

قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا
خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا
شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الأَبْرَارَ
يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا
(٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ
مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩)
إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً
وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) ﴾.

(هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ) ذكر الله تعالى في هذه السورة أول حال الإنسان ومنتهاها ومتوسطها، فذكر أنه مرّ عليه:

(حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) أي وقت طويل قبل أن يوجده.

(لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١)) أي كان في العدم، لم يكن ذكر ولا وجود.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يُذْكر لحقارته وضعفه".

وقيل: المراد بالإنسان هنا آدم، وأما الحين من الدهر فقالوا: هو المدة بين خلقه إلى أن نفخت فيه، وقد ذكر بعضهم أنها أربعون سنة.

(إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) أي نحن بقدرتنا خلقنا الإنسان من ماء مهين ـ وهو المني ـ الذي ينطف من صلب الرجل ويختلط بماء المرأة.

قال ابن عباس: "(من نطفة أمشاج) يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا

واختلطا ".
(نَّبْتَليه) أي نختبره، كقوله تعالى: ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾.
(فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)) أي جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية.
وفي قوله (سميعاً بصيراً) تذكير بنعم الله على العبد.
قال بعض العلماء: أن في قوله: (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) تقديم وتأخير، والمعنى: إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج فجعلناه سميعاً بصيراً لنبتليه فننظر هل يصرف سمعه وبصره إلى الآيات ويتدبرها ويعمل بطاعة الله أم أنه سيصرف سمعه وبصره إلى مساخط الله).
(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) أي بيناه له ووضحناه وبصرناه به، كقوله: (وهديناه النجدين) أي بينا له طريق الخير وطريق الشر.
(إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)) أي إما أن يكون مؤمناً شاكراً لنعمة الله، فيسلك سبيل الخير والطاعة، وإما أن يكون شقياً فاجراً، فيكفر بنعمة الله ويسلك سبيل الشر والفجور.
(إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا (٤)) أي إنا هيأنا وأرصدنا لمن كفر بالله وكذب رسله وتجرأ على معاصيه:
(سلاسلا) أي قيوداً تشد بها أرجلهم، كما قال تعالى: ﴿ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴾ .
(وأغلالاً) تغل بها أيديهم إلى أعناقهم ويوثقون بها.
(وسعيراً) أي ناراً تستعر بها أجسامهم، وتحرق بها أبدانهم (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) وكما قال تعالى: ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون . في الجحيم ثم في النار يسجرون ﴾ .
(إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)) أي الذين كانوا في الدنيا

أبراراً بطاعتهم الجبار، فإنهم يشربون كأساً من الخمر ممزوجة بأنفس أنواع الطيب وهو الكافور، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة.

(عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) أي هذا الكافور يتدفق من عين جارية من عيون الجنة يشرب منها عباد الله الأبرار، ووصفهم بالعبودية تكريماً لهم وتشريفاً.

(يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)) قال مجاهد: " يقودونها إلى حيث شاءوا من الدور والقصور".

قال بعض العلماء: المراد أنها سهلة لا تمتنع عليهم .

ورد أن الرجل يمشي في بيوته، ويصعد إلى قصوره وبيده قضيب يشير به إلى الماء فيجري معه حيث دار في منازله وينبعه حيث صعد إلى أعلى قصوره.

ثم ذكر بعض أعمالهم الصالحة ترغيباً في فعلهم:

(يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) أي كانوا في دار الدنيا يوفون بالنذر، وهو ما يلزمونه من طاعات لربهم من صلاة أو صيام أو صدقة تقرباً إلى الله.

(وَيَخَافُونَ يَوْمًا) أي يوم القيامة.

(كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧)) قال ابن عباس: " مستطيراً: فاشياً ".

(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ) اختلف في مرجع الضمير في قوله: (حبه) :

فقيل: على حب الله.

وقيل: على حب الطعام، وهذا هو الصحيح، والمعنى: ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له.

كقوله تعالى: ﴿ وآتى المال على حبه ﴾.

وقال تعالى: ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ .

(مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨)) المسكين: هو الفقير الذي لا يملك شيئاً، واليتيم: من مات أبوه وهو صغير.

والأسير: اختلف في المراد به:

فقيل: هم العبيد.

وقيل: أسراء الحرب، وهو من أسر في الحرب من المشركين، وكان إطعامهم لوجه الله تعالى ويقولون بلسان الحال.

(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ) أي رجاء ثواب الله ورضاه.

(لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩)) أي لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس.

قال سعيد بن جبير: " أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليه به ليرغب في ذلك راغب".

(إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠)) أي إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه (يوماً عبوساً) أي تعبس فيه الوجه من فظاعة أمره وشدة هوله (قمطريراً) أي شديداً طويلاً.

(فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ) أي آمنهم مما خافوا منه، فلا يحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون.

(وَلَقَّاهُمْ) أي وأعطاهم وأكرمهم.

(نَضْرَةً) في وجوههم.

(وَسُرُورًا (١١)) أي في قلوبهم.

وهذا كقوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذٍ مسفرة. ضاحكة مستبشرة ﴾ وذلك أن القلب إذا سرَّ استنار الوجه.

(وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا) أي بسبب صبرهم وأعطاهم وبوأهم.

(جَنَّةً) أي منزلاً رحباً وهي الجنة، جامعة لكل نعيم، سالمة من كل مكدر ومنقص.

(وَحَرِيرًا (١٢)) وألبسهم لباساً حسناً، كما قال تعالى: ﴿ ولباسهم فيها حرير﴾.

الفوائـد:

١- بيان كيفية أصل الإنسان.

٢- التذكير لهذا الإنسان أنه لا ينبغي له التكبر عن طاعة الله، لأنه مخلوق من شيء مهين.

٣- امتنان الله علينا بنعمة السمع والبصر.

٤- أن مأوى الكافر جهنم، ولهم فيها السلاسل والأغلال.

٥- بيان بعض أسباب النجاة من أهوال يوم القيامة، وهي:

أولاً : الوفاء بالنذر. ثانياً: الخوف من ذلك اليوم. ثالثاً: إطعام الطعام لله.

ومن أسباب النجاة من أهوال يوم القيامة: إنظار المعسر أو الوضع عنه.

قال ﷺ : (من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) . رواه مسلم

وقال ﷺ : (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفّس عن معسراً أو يضع عنه) . رواه مسلم

٦- فضيلة أن يخرج الإنسان الطعام والصدقة وهو صحيح ويحبها.

وقد قال تعالى: ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ .

وقال ﷺ : (أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر) .

٧- التنبيه على الإخلاص في العمل، لقوله: ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله ﴾ .

٨- فضل الوفاء بالنذر.

قال تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ... ﴾.

وقال ﷺ : (من نذر أن يطيع الله فليطعه) . متفق عليه

وقال تعالى: ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقنّ ولنكوننّ من الصالحين ﴾ .

وذم ﷺ الذين ينذرون ولا يوفون.

٩- أن الجزاء من جنس العمل، فكما خافوا ذلك اليوم آمنهم الله عز وجل منه.

١٠- فضل الصبر على طاعة الله وعن معصيته، حيث جازاهم الله بالجنة واللباس الحسن.

قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾.

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم، وما أسبغ عليهم من الفضل العظيم، فقال:

(مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ) الاتكاء: التمكن من الجلوس في حال الطمأنينة والراحة والرفاهية، والأرائك: هي السرر التي عليها اللباس المزين.

(لا يَرَوْنَ فِيهَا) أي في الجنة.

(شَمْسًا) أي ليس عندهم حر مزعج.

(وَلا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾) ولا برداً مؤلم، بل هي مزاج دائم سرمدي لا يبغون عنها حولاً.

(وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا) أي ظلال الأشجار في الجنة قريبة من الأبرار.

(وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴿١٤﴾) أي من تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى

غصنه كأنه سامع طائع.

(وَيُطَافُ عَلَيْهِم) أي الخدم والولدان على أهل الجنة.

(بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾) يطوفون عليهم بأواني الطعام، وهي من فضة وأكواب الشاي وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم.

وهذه الأواني هي الصحاف بعضها من فضة وبعضها من ذهب، كما قال تعالى: ﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب ﴾ .

(قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ) أي جامعة بين بياض الفضة في صفاء الزجاج، والقوارير لا تكون إلا من زجاج، فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذه شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا.

قال ابن عباس: " ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قواريرا من فضة ".

(قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾) أي على قدر ريهم لا تزيد عنه ولا تنقص، بل هي معدة لذلك مقدرة بحسب ري صاحبها.

قال ابن كثير: "وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة".

(وَيُسْقَوْنَ فِيهَا) أي في الجنة .

(كَأْسًا) أي خمراً.

(كَانَ مِزَاجُهَا) أي ما تمزج به.

(زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾) أي لطيب طعمه وريحه، والعرب تستلذ من الشراب ما مزج بالزنجبيل لطيب رائحته.

(عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾) أي الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلاً، سميت بذلك لسلاستها ولذتها وحسنها.

(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ) أي ويطوف على أهل الجنة للخدمة.

(وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ) أي على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها ولا تزيد

أعمارهم عن تلك السن.

قال القرطبي: "أي باقون على ما هم عليه من الشباب والنضارة والغضاضة والحسن، لا يهرمون ولا يتغيرون، ويكونون على سن واحد على مرّ الأزمنة ".

(إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾) أي إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم من حسنهم لؤلؤاً منثوراً.

(وَإِذَا رَأَيْتَ) أي وإذا رأيت يا محمد.

(ثَمَّ رَأَيْتَ) يعني هناك، يعني في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها.

(نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾) أي مملكة لله هناك عظيمة ، وسلطاناً باهراً ، كما في الحديث القدسي: (قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) .

(عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ) قال ابن كثير: أي لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها، والأستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو معهود في اللباس.

(وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ) أي حلوا في أيديهم أساور من فضة، ذكورهم وإناثهم.

فإن قيل: ماالجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ﴾ ؟

فالجواب من وجهين:

الأول: أن يقال إنهم يلبسون هذه تارة وتلك تارة أخرى، أو يلبسونهما معاً.

الثاني: أن يقال أن السابقين يحلون من أساور من ذهب، وأصحاب اليمين حلوا أساور من فضة.

(وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾) أي سقاهم ـ فوق ذلك النعيم ـ شراباً طاهراً لم تدنسه الأيدي، ولا كدر فيه بوجه من الوجوه، مطهراً لما في بطونهم من كل

أذى.

قال الطبري: " سُقي هؤلاء الأبرار شراباً طهوراً، ومن طهره أنه لا يصير بولاً نجساً، بل رشحاً من أبدانهم كرشح المسك".

(إِنَّ هَذَا) الجزاء الجزيل .

(كَانَ لَكُمْ جَزَاءً) على ما أسلفتموه من إيمان وأعمال صالحة.

(وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢)) أي جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير.

الفوائد:

١- بيان شيء من نعيم أهل الجنة، هو:

الاتكاء على الفرش ـ لا يؤذيهم حرٌّ ولا برد ـ قرب ظلال الجنة ـ يطاف عليهم بالأواني الفاخرة.

٢- أن الجنة فوق الوصف.

٣- أن شراب أهل الجنة طهور، بخلاف شراب أهل الدنيا فهو نجس.

وقد استدل بهذه الآية جمهور العلماء على أن الخمر نجس.

قال الشنقيطي: " ﴿ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ﴾ وصفه لشراب أهل الجنة بأنه طهور يفهم منه أن خمر الدنيا ليست كذلك ".

ومن أدلتهم على نجاسة الخمر قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ... ﴾. والرجس في كلام العرب كل مستقذر تعافه النفس.

٤- أن الله يجزي العاملين الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجزاء العظيم.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦) إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً (٢٧) نَحْنُ

خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً (٢٨) إنَّ هذه تذكرةٌ فمن شاء اتَّخذ إلىٰ ربه سبيلاً (٢٩) وما تشاءون إلاَّ أن يشاء اللَّهُ إنَّ اللَّه كان عليمًا حكيمًا (٣٠) يُدخلُ من يشاء في رحمته والظَّالمين أعدَّ لهم عذابًا أليمًا (٣١) ﴾ .

(إنَّا نحنُ نزَّلنا عليك القُرآن تنزيلاً (٢٣)) أي نحن الذين أنزلنا عليك يا محمد هذا القرآن مفرقاً لتذكرهم بما فيه من الوعد والوعيد والترغيب والترهيب.

(فاصبر لحُكم ربِّك) أي كما أكرمك بما أنزل عليك فاصبر على قضائه وقدره ، واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره.

(ولا تُطعْ منهُمْ آثمًا أوْ كفُورًا (٢٤)) أي ولا تطع الكافرين المنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله، والله يعصمك من الناس، فالآثم: هو الفاجر في أفعاله، والكفور: هو الكافر قلبه .

(واذْكُر اسْمَ ربّك) أي صلّ لربك وأكثر من عبادته وطاعته.

(بُكْرةً وأصيلاً (٢٥)) أي أول النهار وآخره في الصباح والمساء.

(ومنَ اللَّيل فاسْجُدْ لهُ) أي ومن الليل فصلّ له متهجداً مستغفراً في مناجاته.

(وسبِّحْهُ ليْلاً طويلاً (٢٦)) أي أكثر من التهجد والقيام لربك في جناح الظلام والناس نيام، وقد تقدم تقييد هذا المطلق بقوله: ﴿ يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلاً. نصفه أو انقص منه قليلاً. أو زد عليه ﴾ .

والمقصود أن يكون عابداً له ذاكراً له في جميع الأوقات.

(إنَّ هؤُلاء) أي المكذبين لك أيها الرسول، بعدما بينت لهم الآيات ورغّبوا ورهبوا.

(يُحبُّون العاجلة) يفضلون الدنيا ويطمئنون إليها، وينهمكون في لذاتها الفانية.

(ويذرُون وراءهُمْ) أي ويتركون العمل ويهملون:

(يومًا ثقيلاً (٢٧)) وهو يوم القيامة، ذلك اليوم العسير الشديد، وسمي ثقيلاً لما

فيه من الشدائد والأهوال.

(نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ) أي نحن بقدرتنا أوجدناهم من العدم.

(وشددنا أسرهم) وأحكمنا وأتقنا ربط مفاصلهم بالأعصاب والعروق حتى كانوا أقوياء أشداء، وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة.

فالذي أوجدهم على هذه الحال قادر على أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم.

(وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (٢٨)) في الآية قولان:

قيل: إذا شئنا أفنيناهم وأهلكناهم وأتينا بآخرين غيرهم أطوع لنا منهم.

كما قال تعالى: ﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان ذلك على الله يسيراً ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ﴾ .

وقيل: إذا شئنا بعثناهم يوم القيامة، وبدلناهم فأعدناهم وبعثناهم خلقاً جديداً.

(إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ) أي هذه السورة وما فيها من الآيات تذكرة لمن تذكر، وعظة لمن اتعظ واعتبر.

(فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (٢٩)) أي طريقاً موصلاً إليه.

فالله يبين الحق والهدى، ثم يخبر الناس بين الاهتداء بها والنفور عنها إقامة للحجة ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة ﴾ .

(وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ) أي لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الإيمان ولا يجر لنفسه نفعاً إلا أن يشاء الله.

(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠)) أي علم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، ولهذا قال تعالى: ﴿ إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ .

(يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) فيختصه بعنايته، ويوفقه لأسباب السعادة، ويهديه

لطرقها.

﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)﴾ وأما المشركون الظالمون فقد هيأ لهم عذاباً شديداً مؤلماً في دار الجحيم.

الفوائد:

١- أن القرآن منزل.

٢- وجوب الصبر على أذى المشركين وعلى قضاء الله.

٣- استحباب الإكثار من ذكر الله خاصة في طرفي النهار.

٤- أنه ينبغي للمسلم أن يستعين بالصبر والصلاة.

كما قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم. ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً. ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ﴾ .

٥- أن من أسباب التكذيب والكفر حب الدنيا.

٦- التهديد لمن نسي أهوال يوم القيامة.

٧- أن الخالق هو الله، فهو الذي يستحق العبادة.

٨- قدرة الله على خلق هذا الإنسان هذا الخلق القوي.

٩- أن للعبد مشيئة لكنها تحت مشيئة الله.

١٠- إثبات اسمين من أسماء الله، وهما: العليم ـ الحكيم.

العليم: فهو يعلم الجزئيات والكليات، يعلم ما كان ويكون، يعلم كل شيء، ويعلم المستقبل، كما قال تعالى:

﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ .

الحكيم: فهو الحكيم في أفعاله وأقواله وأوامره، فله الحكمة العظمى.

سورة المرسلات

قوله تعالى: ﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣)
فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧)
فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ
أُقِّتَتْ (١١) لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) ﴾.

(وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (١)) هذا بداية قسم لله تعالى أقسم فيه بعدة أشياء من مخلوقاته، ولله أن يقسم بما شاء.

وقد اختلف ما المراد بالمرسلات ؟

فقيل: هي الملائكة .

وقيل: هي الرياح، ورجحه ابن كثير وقال: والأظهر أن المرسلات هي الرياح، كما قال تعالى: ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ وقال تعالى: ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾.

فيقسم الله بالمرسلات عرفاً وهي الرياح المتتابعة.

(فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢)) هي الرياح الشديدة الهبوب.

(وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣)) هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عز وجل.

(فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤)) وهي الملائكة التي تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

(فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥)) هي الملائكة، تلقي أشرف الأمور، وهو الذكر الذي

يرحم الله به عباده، وتذكرهم فيه منافعهم ومصالحهم، تلقيه إلى الرسل.

(عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾) أي إعـذاراً أو إنذاراً للناس، تنـذر الناس مـا أمـامـهم من المخاوف، وتقطع أعذارهم فلا يكون لهم حجة على الله .

(إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾) هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام، أي ما وعدتم به من قيام السـاعـة، والنفخ في الصـور، وبعث الأجـساد، وجـمع الأولين والآخـرين في صعيـد واحد، ومجازاة كل عـامل بعمله إن خيراً فـخير وإن شراً فـشر، إن هذا كله لواقع، أي لكائن لا محالة .

(فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾) أي ذهب ضـوؤها، كقـوله تعالى : ﴿ وإذا النجـوم انكدرت ﴾ .

(وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾) أي انفطـرت وانشـقـت وتدلت أرجـاؤها ووهت أطرافها.

(وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾) أي ذهبت فـلا يبقى لهـا عين ولا أثـر، كـقوله تعـالى: (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) .

(وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾) أي جـعل للرسل وقت وأجل للـفصـل بينهم وبين الأمم، وهو يوم القيامة.

قال الطبري: " أي أجلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة".

(لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾) استفهام لتعظيم ذلك اليوم وتفخيمه وتهويله.

(لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾) أي ليـوم القضـاء والفصل بين الخـلائق بعضـهم من بعض، ثم قال تعالى معظماً لشأنه:

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾) استفهام لتعظيم ذلك اليوم وتهويله.

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ) أي يوم الفصل والقضاء.

(لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾) لهذا اليوم الموعود.

الفوائــد:

١- لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، وليس للعبد أن يقسم إلا بالله.

٢- الحكمة من الإقسام أن تسكن النفوس للخير، وتطمئن إلى صدق المخبر به.

٣- بيان بعض علامات يوم القيامة، وهي:

انطماس ضوء النجوم ـ انفراج السماء ـ نسف الجبال.

٤- أن ما وعد الله به من البعث والجزاء حق وصدق.

٥- أن من أنكر البعث والجزاء فهو كافر.

٦- أن الرسل تأتي يوم القيامة لتشهد على أممها.

كما قال تعالى: ﴿ يوم يجمع الله الرسل ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجاء بالنبيين والشهداء ﴾ .

٧- أن من أسماء يوم القيامة يوم الفصل، لأن الله يفصل فيه بين العباد بالعدل.

كما قال تعالى: ﴿ إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتاً ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ﴾ .

٨- التهديد الشديد لمن كذب بالبعث والجزاء .

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) ﴾ .

(أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾) أي ألم نهلك السابقين بتكذيبهم للرسل كقوم نوح وعاد وثمود.

(ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ﴿١٧﴾) ثم نتبعهم بإهلاك من كذب من الآخرين.

(كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾) تهديد لأهل الإجرام، أي بمثل ذلك الإهلاك الفظيع نفعل بهؤلاء المجرمين (كفار مكة) لتكذيبهم لسيد المرسلين.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " وهذه سنته السابقة واللاحقة، في كل مجرم لا بد من عقابه، فلم لا تعتبرون بما ترون وتسمعون ".

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾) أي هلاك ودمار لكل مكذب بالتوحيد والبعث والحساب بعد ما شاهدوا الآيات البينات والعقوبات.

قال بعض العلماء: كرر هذه الجملة (ويل يومئذٍ للمكذبين) في هذه السورة عشر مرات لمزيد الترغيب والترهيب، وفي كل جملة وردت إخبار عن أشياء عن أحوال الآخرة وتذكير بأحوال الدنيا، فناسب أن يذكر الوعيد عقيب كل جملة منها.

(أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾) يقول تعالى ممتناً على خلقه ومحتجاً على الإعادة بالبداءة: ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ﴾ أي ضعيف حقير بالنسبة لقدرة الباري عز وجل.

(فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾) يعني جمعناه في الرحم وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرحم معد لذلك حافظ لما أودع فيه.

(إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾) يعني إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر.

(فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾) أي قدرنا ودبرنا ذلك الجنين في تلك الظلمات ونقلناه من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة

(فنعم القادرون) يعني بذلك نفسه المقدسة، لأن قدره تابع لحكمته، موافق للحمد .

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾) سبق شرحه .

(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾) أي ألم نجعل هذه الأرض التي تعيشون عليها كالأم لكم، تجمع الأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها؟

قال الشعبي: "بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم".

(وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ) أي الجبال رسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب.

(وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾) أي عذباً زلالاً من السحاب أو مما أنبعه من عيون الأرض.

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾) أي ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره.

الفوائد:

١- أن الله أهلك كثيراً من الأمم بسبب ذنوبهم.

٢- التهديد والوعيد للمجرمين بالعقاب والعذاب.

كما قال تعالى: ﴿ سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ ... فانتقمنا من الذين أجرموا ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ إنه من يأت ربه مجرماً فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحي﴾.

وقال تعالى: ﴿ وترى المجرمين يومئذٍ مقرنين في الأصفاد ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون ﴾ .

٣- الويل لمن كذب بالبعث والجزاء والرسل.

كما قال تعالى: ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴾.

وقال تعالى: ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾ .
وقال تعالى: ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين ﴾.
٤- بيان إنعام الله على عباده في خلقهم ورزقهم وتدبير حياتهم أحياءً وأمواتاً.
٥- بيان الحكمة من خلق الجبال.

قوله تعالى: ﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (٣٠) لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) ﴾ .

(انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩)) يقول تعالى مخبراً عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار أنهم يقولون يوم القيامة: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون في الدنيا، انطلقوا إلى العذاب الذي أعد للكافر منهم ، فها هو فانطلقوا إليه.

(انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (٣٠)) أي اذهبوا فاستظلوا بدخان كثيف من دخان جهنم يتفرع منه ثلاث شعب.

(لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١)) أي ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه، ولا يغني من اللهب، يعني لا يقيهم حرّ اللهب.

(إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢)) أي إن جهنم ترمي بشرر عظيم من النار، كل شرارة منه كأنها القصر العظيم .

قال ابن كثير: "يتطاير الشرر من لهبها كالحصون".

(كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣)) أي كأن شرر جهنم المتطاير منها الإبل الصفر في لونها وسرعة حركتها.

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤)) سبقت.

(هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥)) أي لا يتكلمون.

فإن قال قائل: ما الجمع بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ ؟

الجواب: أن الأحداث تتنوع في ذلك اليوم تنوعاً شديداً، فوقت لا ينطقون فيه، ووقت يُقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

(وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦)) أي لا يقدرون على الكلام، ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا، بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون.

(هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨)) هذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم: ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين ﴾ يعني أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر.

(فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩)) تهديد شديد ووعيد أكيد، أي إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي وتنجوا من حكمي فافعلوا فإنكم لا تقدرون على ذلك.

الفوائد:

١- بيان شيء من عذاب الكافرين.

٢- شدة عذاب نار جهنم.

٣- أنه لا يسمح للكافرين بالكلام لأنه لا ينفعهم، فقد قامت الحجة عليهم في الدنيا فلم يؤمنوا.

٤- أن يوم القيامة هو يوم الفصل والقضاء.

٥- إثبات البعث والجزاء لجميع الناس.

٦- لا أحد من الكفار المكذبين ينجو من عذاب الله يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠) ﴾.

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١)) لما ذكر الله عقوبة المكذبين ذكر مثوبة المحسنين، فالمتقون الذين عبدوا الله بأداء الواجبات، وترك المحرمات، يكونون يوم القيامة في ظلال أشجار الجنة، وعيون الماء الجارية يتنعمون في دار الخلد والكرامة.

(وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢)) أي ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا.

(كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)) أي يقال لهم على سبيل الإحسان إليهم: كلوا واشربوا من المآكل الشهية، والأشربة اللذيذة (هنيئاً) أي من غير منغص ولا مكدر (بما كنتم تعملون) فأعمالكم هي السبب الموصل إلى جنات النعيم المقيم.

(إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤)) أي هذا جزاؤنا لمن أحسن في عبادة الله وأحسن إلى عباد الله.

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥)) ولو لم يكن من هذا الويل إلا فوات هذا النعيم لكفى به حزناً وحرماناً.

(كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا) أي مدة قليلة قريبة قصيرة.

(إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٦)) أي ثم تساقون إلى نار جهنم.

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧)) سبقت.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨)) أي إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ ومن الويل عليهم أنهم تسد عنهم أبواب التوفيق، ويحرمون كل خير، فإنهم إذا كذبوا هذا القرآن الذي هو أعلى مراتب الصدق واليقين على الإطلاق:

(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾) أي إذا لم يؤمنوا بالقرآن فبأي كلام يؤمنون به؟

كما قال تعالى: ﴿ فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ﴾ .

الفوائـد:

١- فضل التقوى والمتقين وما أعد الله لهم [سبقت مباحث ثمرات التقوى في سورة عمّ].

٢- الحرص على العمل الصالح في الدنيا ، فإن الإنسان سوف يجازى يوم القيامة على حسب عمله في الدنيا.

٣- أن النعيم الذي فيه أهل الإجرام في الدنيا قليل، لأنه يزول سريعاً.

كما قال تعالى: ﴿ نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون. متاع قليل ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ .

٤- وجوب الإيمان بالقرآن وأنه حق وصدق.

٥- كفر من لم يؤمن بالقرآن.

٦- التعجب ممن لم يؤمن بهذا القرآن، وذلك لما فيه من الخير ولما يدعو إليه من السعادة والكمال، كما أنه معجز بألفاظه ومعانيه.

٧- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر ما أعد الله تعالى لأوليائه المؤمنين المتقين المحسنين.

٨- فضل الإحسان. فضائل الإحسان:

أولاً: البشرى لأهل الإحسان.

قال تعالى: ﴿ وبشر المحسنين ﴾ .

ثانياً: رحمة الله قريبة من المحسنين.

قال تعالى: ﴿ إن رحمت الله قريب من المحسنين ﴾ .

ثالثاً: إن الله مع المحسنين.

قال تعالى: ﴿ وإن الله لمع المحسنين ﴾ .

رابعاً: إن الله يحب المحسنين.

قال تعالى: ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ .